
من كوكب ميت
٨
Bibliotheca Alexandrina
0040664

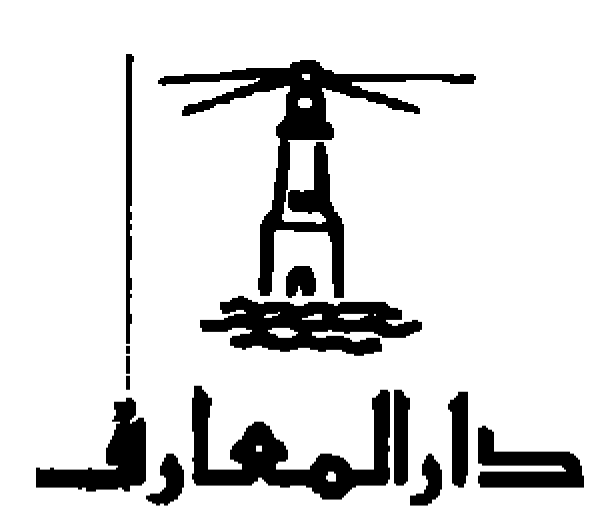


مغامرات فى الفضاء

٨

نداء من كوكب ميّت

بقلم : سمير عبد الباقى
رسوم : عفت حسنى



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

مقدمة

الخيال والرغبة فى اكتشاف المجهول، سمات إنسانية لم يثبت أن أحدًا من بنى الحَيوان يشارك الإنسان فيها.

فالأسد مثلا لا يتخيل صورة بيته قبل أن يجده، إنه يسكن أى شق أو كهف بين الصخور، فيصبح عرينًا.

ولكن الإنسان يتصور البيت ويصنعه فى خياله قبل أن يبنيه، ويستطيع الإنسان أن يتوقع أحداثًا قبل أن تحدث، بل يصفها دون أن يراها تحدث، أكثر من ذلك يمكن أن يتخيل ويصف أحداثًا لم ولن تحدث أبدًا.

وهذه القدرة بالذات هى التى جعلت الإنسان موهبة الإبداع، تجديد الحياة، دفعها إلى التقدم، تذكر التاريخ واكتشاف القوانين الطبيعية، كتابة القصص والحكايات وقصائد الشعر، وإبداع اللوحات والتماثيل، وتصور عوالم أخرى خيالية، كعالم الخبيات والعفاريت والأرواح، ولذلك يمتلك الإنسان دون بقية المخلوقات تراثًا كبيرًا من الأساطير والخرافات، وأحداث التاريخ، والعلوم والفنون من إبداعات السابقين، وكذلك يمتلك

قدرة على التنبؤ بالمستقبل وفق تقديرات العلم، أو جموح تصورات الخيال الذى يفيد من أكثر آلتعبيرات إثارة للخلاف، فبعض الناس يظنون أن كتابة أى عمل يذخر بأحداث ستحدث فى المستقبل، أو فى أماكن أخرى، كالكواكب أو سفن الفضاء، يكفى ليطلقوا عليها حكايات من الخيال العلمى.

إن تصورات الخيال العلمى تقوم على افتراضات صحيحة ممكنة الحدوث، أو محتمل حدوثها فق القوانين أو الافتراضات العلمية.

لا يكفى إذن أن تدور الأحداث فى مركبات فضائية، أو أن تمتلئ الرواية بالكلمات المقتبسة من العلوم، أو تتخيل أجهزة مركبة معقدة، ثم تنسف كل ذلك بالمصادفة، أو بالتخريف اللاعلمى، العلم يقدم لك التجربة والملاحظة والاستنتاج، ويجب أن يكون الخيال العلمى كذلك.



١

عندما غربت شمس ذلك اليوم، معلنة بداية ليلة جديدة من ليالى أغسطس الرائعة، أحس «هشام» ببعض الاضطراب، وانتابه شعور بالقلق لم يستطع أن يفسر أسبابه، فحاول أن يتغلب عليه بتأمل زبد البحر الذى تلونه بقايا الأشعة الغاربة، متابعًا ما يشكله من أشكال وتهاويل أسطورية ساحرة فوق قمم الموج الهائج، لكن كل ذلك كان يزيده قلقًا وانقباضًا، فاستسلم لمشاعره الغامضة، باحثًا عن أسباب حقيقية لها، لأنه لم يكن من أولئك الذين يتركون أنفسهم فريسة للأوهام، بل كان صاحب عقل مرتب وذهن صاف، وقدرة على الملاحظة والفهم، مما مكنه برغم خياله الخصب الجامح، من الحكم على الأحداث حكمًا واقعيًا، أو قل علميًا!

كان «هشام» من الفتيان الذين يمكن أن نتوقع لهم - دون مبالغة - أن يكونوا من رجال القرن الواحد والعشرين، قرن السفن العابرة للمجرات والصواريخ الضخمة، المسافرة بين الكواكب ومحطات الفضاء الذرية.

وكعادته كلما احتاج لإنسان يتحدث معه عن همومه حديثًا جادًّا، مضى فى اتجاه منزل خاله، المنعزل هناك، عند طرف جبل النرجس الغربى على شاطىء البحر، بعيدًا عن القرية، لأنه كان يجد فى حديث خاله ما يرضيه، وما يخفف عنه ما ينتابه من مشاعر غامضة أو مخاوف حزينة.. مثل ذلك الذى يملأ قلبه هذا المساء، ويجعل الدموع تغيم فى عينيه وكأنه موشك على فراق عزيز، أو وداع قريب حبيب إلى قلبه.

وكان خال «هشام» الدكتور «خميس» عالم أحياء مائية شهيرًا، لكنه ترك الجامعة بعد موت زوجته، وعاش وحيدًا فى منزله المنعزل، بعد أن أرسل طفليه «همام» و «رضوى» ليعيشا فى العاصمة فى رعاية أخته أستاذة التاريخ الطبيعى، كى يستطيعا مواصلة الدراسة، وليتفرغ هو لأبحاثه المتعددة، معتمدًا على معاشه وإيراد غير قليل تدرُّه مزرعة صغيرة فى قريته.

ولم يكن للدكتور «خميس» أصدقاء سوى بعض الصيادين الذين تعودوا أن يمدوه بالكائنات البحرية الغريبة، التى يعثرون عليها بين الصخور، أو فى أعماق البحر بعيدًا عن الشاطئ فى أثناء قيامهم بالصيد.

٧

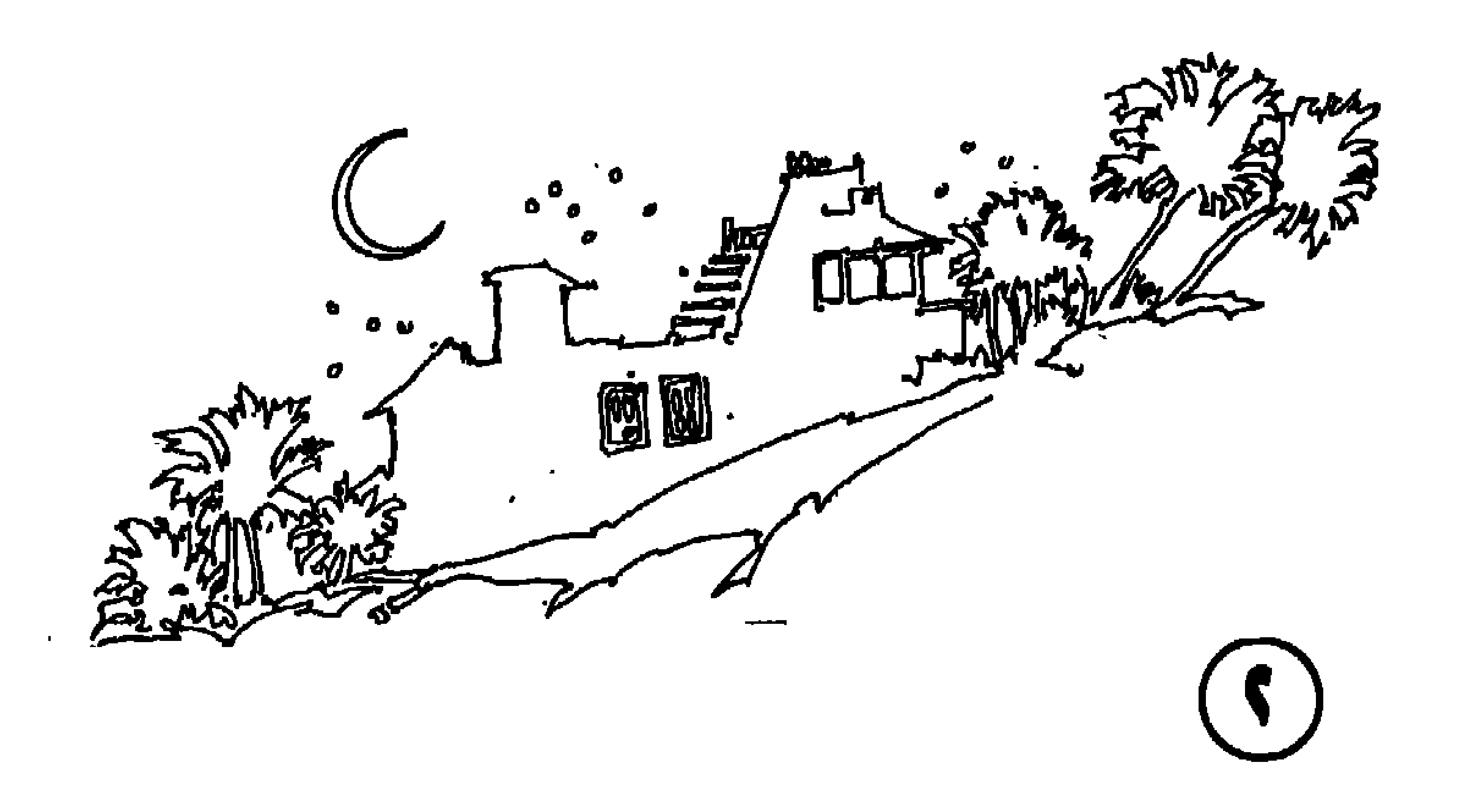
وكان منزل الدكتور «خميس» – برغم صغره – متحفًا بحريًا نادرًا، يحتوى على أعداد لا حصر لها من الكائنات من حيوانات ونباتات بحرية غريبة، أمده بها الصيادون، أو عاد هو بها من رحلاته العديدة إلى الخليج أو إلى البحرين: الأحمر والأبيض، أو فى أثناء جولاته الكثيرة على طول الشاطئ وبين التلال المجاورة.

ولما كان «هشام» يعرف أن خاله لا يعود إلى البيت إلا بعد جولة ما بعد الغروب اليومية، عبر المنطقة الخالية الواقعة خلف التلال، فضّل أن يقوم هو أيضًا بجولة مثيلة فى المنطقة التى يعرف كل شجرة، وكل نخلة أو زهرة نرجس فيها، ولذا مضى – برغم اكتئابه – يشق طريقه بين الشجيرات والأحراش فى ثقة وسط الظلال المتكاثف، دون أن يحتاج لضوء، حتى ضوء ذلك الهلال الوليد الذى كان يحبو خافتًا عند الأفق، وملأ أذنيه صوت تكسر الأعواد الجافة تحت أقدامه، وجذب انتباهه فأخذ يحاول خلق نغمات وإيقاعات موسيقية متباينة عن طريق زيادة سرعة خطواته، أو الإبطاء فيها، والضغط بها، أو التخفيف منها، وجعله ذلك يضحك من أعماق قلبه، وينسى للحظات ما كان يشعر به من هم وحزن، خاصة عندما أطلق على خليط النغمات الخشبية الغريبة الذى أبدعته أقدامه اسم «السيمفونية الخشبية»!

٨

وكلما تنوع اللحن، ازدادت ضحكته عمقًا وفرحًا، وفجأة انقلب الضحك إلى آهة فزع،، أعقبتها صرخة رعب حقيقية، إذ اندفعت من خلفه إلى الأمام، كالبرق الخاطف، فوق رأسه تمامًا - أو هكذا خُيل إليه - كتلة من الظلام الكثيف لم يتبين شكلها، لها صوت منقطع رنان، رهيب، وغامض، خلّفت تيارًا مفاجئًا عنيفًا من الهواء أفقده توازنه ودفع به إلى حفرة جافة مجاورة، فسقط على وجهه، وأذهلته المفاجأة للحظات، لكنه سرعان ما استعاد صفاء ذهنه، ورفع رأسه فى حذر محاولاً تبين حقيقة ما حدث أو سببه، واتسعت عيناه من الدهشة، عندما أغشاها ضوء غريب ساطع، لمع فى الأمام كوهج انفجار صامت، ثم انطفأ كأن لم يكن، مخلفًا وراءه ظلامًا أشد حلكة، وأسئلة غامضة ضاعفت ما بقلبه من قلق وحيرة وخوف!





٢

لم يكن «هشام» من الفتيان الذين يمنعهم الخوف عن محاولة اكتشاف سر غامض، أو من الأولاد الذين يفضلون السلامة أمام المخاطر، إذا ما اضطروا لخوضها فى سبيل المعرفة، كان ممن تثيرهم المغامرة، وتلهب خيالهم قصص الرحالة ومغامرات العلماء فى أجواء الفضاء، أو فى أعماق البحار، وحكايات المستكشفين فى الصحارى الجليدية، أو الغابات، كان ذا قلب توّاق، وعقل متلهف لاكتشاف أسرار الكون والدنيا، ولذا قرأ كل ماوجده من كتب فى مكتبة خاله الخاصة، ومكتبة المدينة العامة، لكنه لم يكتف بالمغامرة فوق الصفحات وبين السطور، وإنما خاض كثيرًا من المغامرات والمخاطرات فى سبيل من عرفهم من البشر، ومن اكتسب

صداقتهم من أهل القرية كبارًا وصغارًا، إذا احتاج أحد منهم لمساعدة أو وقع فى مأزق!

ولذلك كان من الطبيعى أن يندفع محاولاً كشف سر تلك الكتلة السوداء، التى اندفعت من جوف الليل، عابرة فوق رأسه تمامًا إلى تلال الشاطئ، محدثة ذلك الصوت، مخلّفة ذلك الوهج الباهر الغامض، فأسرع إلى الناحية التى ظهر فيها الضوء واختفى، فصعد تلًّا وتدحرج مع طبقات الرمال البيضاء الناعمة، إلى وادٍ به بضع شجيرات تين وكرمة عنب أسود، ثم قفز عدة قنوات، وقطع أكثر من حقل بطيخ، ودار حول سياج البوص القصير الذى يوضع عادة لتثبيت الرمال المتحركة، وفحص ماحوله جيدًا، ولكنه لم يجد شيئًا، فوقف حائرًا يفكر، ثم اندفع إلى الجهة المقابلة وهو يؤكد لنفسه أنه لم يبتعد أبدًا عن المكان المقصود، وعاد لاستئناف البحث فى دائرة كبيرة حول تلك النقطة، وفكر فى صعود إحدى النخلات المتناثرة، لعل مجال الرؤية يتسع أمامه، ولكنه سخر من نفسه وهو يبتعد عن النخلة، إذ كيف يتسع مدى الرؤية مع هذا الظلام المتكاثف المتربص بذلك الهلال الوليد الشاحب المخيب للرجاء، والذى يتراجع خلف سحابة كثيفة عابرة، ليزيد الليل ظلمة.

برغم ذلك لم ييأس «هشام» وظل يدور هنا وهنا وهو يتفحص المكان،



اندفع هشام محاولا كشف سر تلك الكتلة السوداء التى أحدثت وهجًا باهرًا غامضًا.

محملقًا فى الظلام، وهو يلوم نفسه بشدة، لأنه لم يحضر مصباحه اليدوى معه، وأخيرًا قرر أن يؤجل البحث إلى الصباح، وأن يذهب فورًا إلى منزل خاله فيخبره بما حدث، عسى أن يجد عنده ما يكشف غموضه، وأن يجيب عن الأسئلة التى تشغله، وتنبه «هشام» إلى أن شعوره الغامض بالحزن قد تراجع، ليحل محله حماس أصيل، ورغبة ملحة للاكتشاف والمغامرة، فأخذ يكون بوقع أقدامه على الأعواد الجافة إيقاعات نشطة من موسيقاه الخشبية، وينشد معها نشيدًا حماسيًا بلا كلمات مفهومة!

واكتشف خلال عودته أنه ابتعد كثيرًا عن منزل خاله، وهو يبحث عن كتلة الظلام التى أصدرت هذا الضوء الباهر الغامض ثم اختفت، لكنه لم يهتم بالوقت، فقد كان ينوى قضاء الليل عند خاله، ولن يقلق والداه لغيابه.

وكلما اقترب «هشام» من منزل خاله، ازداد إيقاع النشيد بقلبه عنفًا، وتزاحمت الأسئلة الحائرة باحثة عن إجابات واقعية أحيانًا، وأحيانًا أخرى مفضلة الإجابات والتفسيرات الخيالية التى تنتمى إلى عالم الحكايات والأساطير الذى يعشقه، وعند ما أكمل دورته حول التل المجاور للبحر، ظهر له منزل خاله غارقًا فى الظلام كسفينة مهجورة لها صوارٍ من النخيل العملاقة..!

١٣

لم تكن تنبعث من البيت أية إشارة تدل على عودة خاله من جولته اليومية، فشباك المعمل ما زال مطفأ، وكذلك شباك الصالة الرئيسية، ولم يكن من عادة الخال أن يتأخر حتى ذلك الوقت، فهز «هشام» كتفيه وواصل طريقه إلى البيت، وبعد أن عبر الكثيب الرملى الأخير، خيل إليه أنه رأى شيئًا معدنيًا يلمع فى الضوء الباهت، فعاد أدراجه ليتبين حقيقة ماخيل إليه من نفس زاوية الرؤية، وعند نفس النقطة تأكد له انعكاس الضوء الشاحب فوق شيء مًّا معدنى على بعد حوالى عشرين خطوة، فمضى حذرًا نحوه، وهو حريص على ألا يفقده بعد أن بدأ يحرك مشاعره بقوة، ويزيد ضربات قلبه تسارعًا.

قطع «هشام» العشرين خطوة، ثم انحنى يتأمل ماوجد، والدهشة تزيد عينيه اتساعًا، وتعقد لسانه، إلا من آهة تساؤل، وتعجب عندما تبين أن ما رآه إنما هو بندقية متوسطة الطول، معقدة التركيب، مصنوعة من معدن داكن يلمع بقوة، تشبه بندقية لعب الأطفال، ورأى عند منتصفها ما يشبه بلورتين زجاجيتين، تصدران ضوءًا أحمر ثم أخضر بالتبادل وفى توقيت منتظم.

تردد «هشام» للحظة ثم قال لنفسه:

إنها تشتعل..

ثم مد يده وتناولها بحرص، وقلبه يكاد يقفز من بين أضلاعه، ووجد نفسه يهمس مرة أخرى:

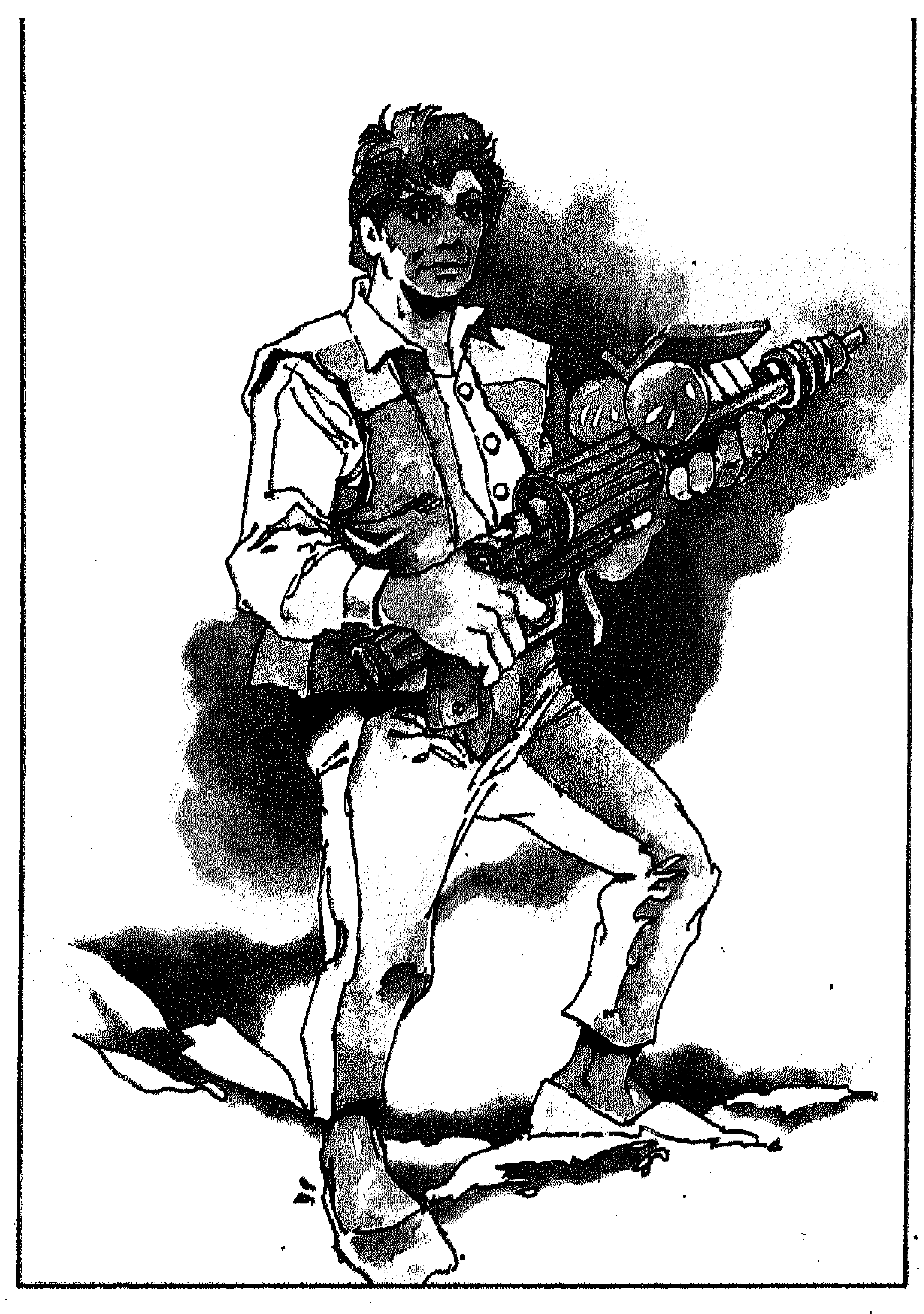
بندقية إشعاع؟!.. وحقيقية؟!

وازدادت ضربات قلبه عنفًا وهو يكمل:

إذن لابد وأن الذى مرّ بى فى الظلام، وألقانى فى الحفرة، سفينة فضاء حقيقية هى الأخرى، وإلا فكيف جاءت هذه البندقية إلى هنا! ومن الذى جاء بها؟!

ولم يحتمل «هشام» الفكرة التى ألحت عليه عندئذ، وتزاحمت فى عقله الأسئلة وهو يقلب البندقية بين يديه، ولا يجرؤ على العبث بأى جزء منها، وفجأة قبض عليها بقوة وانطلق يجرى ناحية منزل خاله، الذى بدا له من بعيد حيوانًا خرافيًا له ألف رأس، يرقد على شاطئ بحر قديم مظلم!





وقبض هشام على البندقية العجيبة بقوة، وتزاحمت فى عقله أسئلة كثيرة.



٣

جرى «هشام» حاملاً بندقية الإشعاع وهو لا يصدق تمامًا ما يحدث له منذ المساء، فلم يكد يقرر تأجيل البحث عن سر الجسم الغامض المنطلق فى الفضاء، حتى فاجأته هذه البندقية الحقيقية التى تبعث فى كفيه قشعريرة غريبة!

صحيح أن وجودها يلقى غموضا على غموض الأحداث، يمكنه من تفسيرها، ولكن الأمر مع ذلك يزداد غموضًا على غموض، فهل هو على أبواب مغامرة هائلة لامثيل لها، أم أن شيئًا قد حدث جعله يتخيل ما لا يمكن أن يحدث؟!

هذا الأمر جعله يزيد من سرعة انطلاقه نحو البيت، يريد اختصار

الزمن والوصول بسرعة إلى أمان خبرة الخال ومعرفته، وبعد بضع عشرات من الأمتار، تعثرت قدماه فجأة فى جسم لين، ملقى على الأرض فى الظلام، فانطلقت منه - غصبًا عنه - صرخة قصيرة، وكان اصطدامه شديدًا، فقفز فى الفضاء، وبفضل قدراته الرياضية استطاع أن يحفظ توازنه، بأن دار فى الهواء بمهارة ثم سقط على الأرض دون أن تقع البندقية من يده، واستدار بسرعة الفهد متحفزًا لأى طارئ، ولما مرت لحظة ولم يحدث شىء، تأمل ذلك الجسم الذى تعثر به، فوجده ما يزال ساكنًا فى مكانه، فزحف فى حذر ناحيته وهو يراقبه بانتباه شديد، لكن آهة ألم خافتة صدرت عن ذلك الجسم أيقظت مشاعره الإنسانية، واستعداده الفطرى، لنجدة كل من يحتاج للعون، وأنسته توتره وتحفزه، فأسرع إلى الجسم الغريب.

وكانت مفاجأة جديدة !!

زادت الأمر غموضًا على غموض، بالرغم من أن تفسيرها صار واضحًا كل الوضوح !

وتسلل الهلال من خلف السحابة القاتمة باهتًا، يبدو على الخوف مرسلًا ضوءه الشاحب فى محاولة غير جادة، لاكتشاف ذلك السر الجديد، وعلى الضوء الباهت المرتعش، رأى «هشام» فوق الأرض شخصًا يرتدى حلة فضاء سوداء ولامعة، وتحيط برأسه خوذة قاتمة لاتشبه أى واحدة رآها من

قبل أو سمع بها، وكانت خوذة بيضاوية الشكل، قاتمة، لا تظهر ملامح الوجه المتخفى بداخلها، ولذا لم يستطع أن يجزم بشىء حول طبيعة هذا الجسم الذى كان يبدو كالبشر، ولا يزيد حجمه عن حجم «هشام» نفسه إلا قليلاً، وبدا واضحًا تماما أنه يعانى آلامًا رهيبة، إذ كانت تنتابه بين كل لحظة وأخرى توترات وانتفاضات عصبية، كمن يعانى سكرات الموت اختناقًا أو غرقًا، وخمّن «هشام» أن آلامه آهاته أشد هولاً مما يسمع، إذ أن الخوذة كما يبدو كانت حائلاً دون خروج الصوت أيضًا.

ولأول وهلة شعر «هشام» بالعجز عن التصرف إزاء مشكلة طارئة، لقد كانت المرة الأولى التى يجد نفسه فى مثل هذا الموقف العجيب، لقد قرأ الكثير عن الفضاء خيالاً وعلمًا، وكان يؤمن أن هناك عوالم أخرى غير عالمنا تزخر بالحياة وبالكائنات الحية، ولكنه كان إيمانًا افتراضيًا قائمًا على الخيال والبراهين النظرية، التى لم تتأكد بعد لديه أو لدى غيره، بالرغم من ذلك الخيال البشرى الطموح الجموح، الذى رسم لتلك العوالم صورًا وواقعًا يكاد يكون حقيقيًا!

ولكن «هشام» وهو ممن يحلو لهم أن يتركوا لخيالهم العنان ليحلق فى هذه العوالم، إلا أنه لم يتخيل يومًا أن يجد نفسه على حافة ذلك الخيال الجموع، عاجزًا عن التصرف لنجدة «كائن فضائى» يتألم، وأربك عجزه

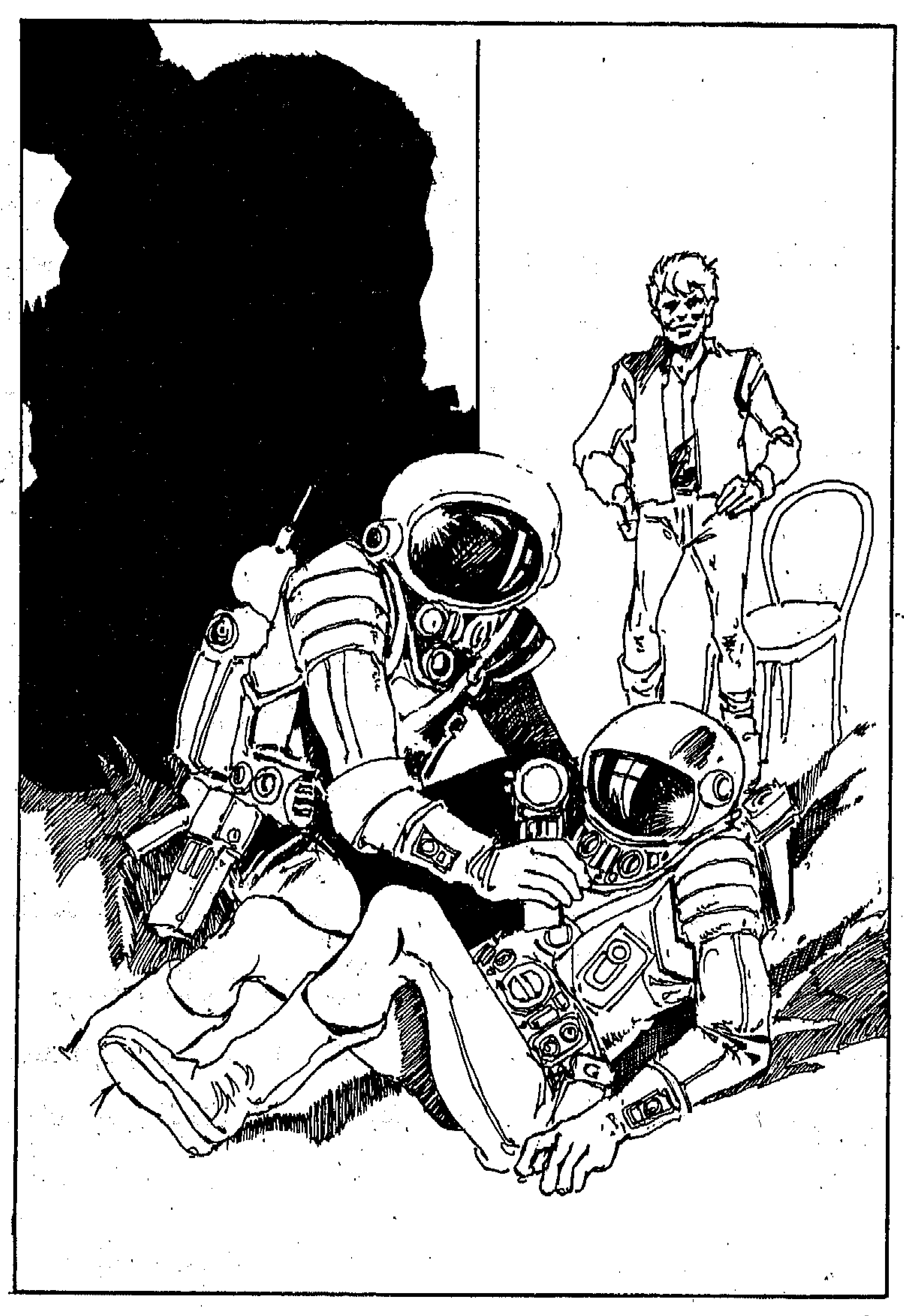
تفكيره، لكنه أخذ يبحث عن دلائل تنجده، فلماذا يرتدى هذا الكائن خوذته ولا يخلعها؟! مع أن المعتاد أن تستعمل حيث يقل الأوكسجين أو ينعدم، وهل هو على ضوء هذا الاعتبار بشرًا، أم كالبشر؟! أيكون صحيحًا ذلك الاحتمال العلمى الذى يتحدث عن نظم للتركيب العضوى فى كواكب أخرى، غير نظام بناء أجساد الكائنات على الأرض، والذى تصادف أن ذرة الكربون هى أساس بنائه الحيوى؟! وهل!!!

لم يحتمل «هشام» عجزه عن الإجابة عن ما يتواتر على ذهنه من أسئلة، ووجد نفسه أمام ازدياد آلام الكائن ومعاناته، يتقدم إليه ويحمله فوق كتفه بسرعة. فأحس له ثقلاً غير عادى، ثقلا لا يتناسب مع حجمه، لكنه تحامل على نفسه، وقبل أن ينطلق بسرعة التقط بندقية الإشعاع مرة أخرى، ومعها جهاز فى حجم الراديو الصغير وجده بجوار الكائن الغريب، وفحص المكان للمرة الأخيرة، ثم انطلق إلى بيت خاله الغارق فى الظلام، بحمله المجهول!



٤

كان المنزل ما يزال غارقًا فى الصمت والظلام، عندما اقترب «هشام» بحمله المجهول، لكنه اندفع بتأثير القلق واللهفة وثقل الحمل، مقتحمًا الباب الذى كان – على غير العادة – مفتوحًا، ليجد نفسه أمام مفاجأة جديدة زادت من ذهوله وحيرته، ودفعته إلى وضع حمله الثقيل على أقرب المقاعد بسرعة، ليتأمل ما رآه فاغرًا فاه، عاجزًا عن الحركة!! وانتبه على صوت عميق قادم من أغوار سحيقة، يقول فى جزع: ولدى، بلغة لا يعرفها «هشام» وإن كان يفهمها تمامًا، ثم اندفع نحو الجسد الملقى على المقعد، كائن فى حجم الرجل العادى يرتدى رداءً فضائيًّا مشابهًا، أخذ يتحسس (الجسد) بيد خبيرة رحيمة، فاختبر بعض الصمامات، وأسرع



أخذ يتحسس (الجسد) بيد خبيرة رحيمة، واختبر فيه بعض الصمامات.

فأخرَج من الحقيبة شيئًا يشبه أنبوبة معجون الأسنان، فتحها وأوصلها بفتحة صغيرة ومضى يضغط عليها شيئًا فشيئًا برفق، فى حين أمسكَ فى كفه الأخرى جهازًا صغيرًا ظهرت على شاشته نبضات ضوئية باهتة وغير منتظمة، ما لبثت أن انتظمت تدريجيًّا مع انتظام تنفس الكائن المصاب، وهنا ربَّت الكائن الأكبر على ظهر الكائن المصاب الأصغر، وأعاد ربط صماماته، وصدرت عنه آهة راحة (بشرية)..

طوال الوقت ظل «هشام» مشدوهًا صامتًا يتأمل ما يجرى دون كلمة، كلما استطاع رمشت عيناه ووجد الفرصة ليتأكد من حقيقة ما يجرى أمامه، كانت المصابيح مطفأة كلها، ولم يكن هناك أى مصدر للضوء، ومع ذلك كانت الحجرة تسبح فى ضوء أخضر باهت، مجهول المصدر! وعلى ذلك الضوء الغريب لمح خاله جالسًا ينظر أمامه، وقد وضع رأسه بين كفيه واستغرق فى تفكير عميق.

وبجواره يقف كائن ثالث أصغر حجمًا من سابقيه، يحمل بندقية شبيهة بتلك التى وجدها عند الشاطئ، لكنها موجهة إليه فى تهديد واضح، فتوقف مكانه حذرًا للحظة، لكنه عاد يتقدم وهو يصيح بحامل البندقية مشيرًا إلى خاله:

– إنه خالى !!!

التفت الخال إلى ذلك الكائن حامل البندقية، فأنزل هذا سلاحه، فى حين اندفع «هشام» إلى أحضان خاله، الذى ربَّت على رأسه مطمئنًا وهو يبتسم مجيبًا عن تساؤله بقوله:

– إنهم ضيوفنا يا «هشام»، وعليك أن ترحب بهم، أم أنك أصبحت بخيلًا؟

ولم يكن «هشام» فى حاجة إلى مزيد من الحيرة يضيفها الخال بحديثه المرح هذا، ووجد نفسه يتأمل الكائن حامل البندقية، فتقدم هذا إليه قائلًا بنفس اللغة الغريبة المفهومة:

– أنا «هولى» ابنة البروفوسير «مانسانا» ذلك الذى كاد ينتهى من علاج الاضطراب الغازى الذى أصاب أخى، «فادا» الذى أنقذت حياته بإحضاره إلى هنا بسرعة!

ووجد «هشام» نفسه يتقبل كل الإجابات التى حملها كلامها ردًّا على بعض تساؤلاته، ووجد نفسه يهمس فى أذن خاله، وقد زاد انفعالاً:

إنها فتاة يا خالى!!

فقال خاله:

– وهل هذا يغير من الأمر شيئًا؟!

فاحمر وجه «هشام» وقال هامسًا:

– أقصد، كيف أمكننى فهم ما تقوله برغم لغتها الغريبة؟!

فضحك الخال وقال:

– لأنها فتاة طبعًا، وإلا كيف كنت ستفهمها بهذه السرعة؟!

لكن «هشام» قال فى جدية:

لا أعنى ذلك، ولكن الأمر غريب حقًّا.

فابتسم الخال وتكلم فى جد قائلاً:

– هذه إحدى عجائب ضيوفنا، وقد سألت مثلك، وأجابتنى هى قائلة: إن الفضل يرجع إلى الجهاز الصغير الذى تحمله معك، نعم، انظر إنه يشبه أى راديو صغير، لكنه جهاز لتعلم اللغات الكونية.

قلب «هشام» الجهاز بين يديه وقال:

– ولكن هل يعلم اللغة العربية أيضا؟!

عاد الخال يضحك مرة أخرى، وقد عاودته روحه المرحة وقال:

طبعًا، وإلا فكيف أمكنك أن تفهمنى بهذه السهولة؟!

لكن «هشام» رجاه أن يكف ليشرح له حقًّا سر فهمه لما تقول، وفهمها لكلامه، وقبل أن يجيبه الخال، تدخل البروفوسير «مانسانا» بعد أن أنهى علاجه لولده قائلاً:



كان الخال جالسًا ينظر أمامه، وقد وضع رأسه بين كفيه واستغرق فى تفكير عميق.

- طالما أنت تحمل الجهاز معك، فأنت تستطيع أن تفهم لغة أى كائن يعيش فى المجرة، وهو إنجاز هام من إنجازات حضارة (الألفافيروس).

سأل «هشام»:

- (الفافيروس)!! وما هو هذا «الألفافيروس»؟!

قال خاله:

- إنه الكوكب الذى جاء منه ضيوفنا يا «هشام» لقد استطاع علماؤه ابتكار هذا الجهاز الذى يستطيع عبر سلسلة طويلة من التحولات المعقدة، نغمية وصوتية وكهرومغنطيسية، تحويل حروف لغة إلى أخرى، ذلك باكتشاف الذبذبات الترددية الصوتية المشتركة بين لغة وأخرى، هل فهمت؟!

رد «هشام»:

- أحاول أن أفهم، ولكنى لا أفهم الآن، كيف فهمتنى هى دون أن تحمل جهازًا معها؟

ضحكت «هولى» وتدخلت فى الحديث قائلة:

إنك على درجة شديدة من الذكاء وقوة الملاحظة، ولذلك فسرعان ما تصبح مثلى، إذ أننا بعد فترة من التدريب يمكنك الاستغناء عن الجهاز، فالعقل يمكنه القيام بنفس المهمة، بل إن خلايا الدماغ أكثر كفاءة فى

الاستيعاب من أى خلايا صناعية، فقط يجب تزويدها بالشفرة والمعلومات الصوتية وغيرها.

رد «هشام» بسرعة وكأنه وجد ثغرة فى الحديث:

– إذن لماذا كان يحمله أخوك معه! وهو مدرب مثلك؟!.

قالت هولى:

– وكيف كان يمكنك أن تفهمه لو قابلته سليمًا؟ وليس معه جهاز تحمله عندما تتحدث إليه يا صديقى؟!

ارتعش قلب «هشام» وهو يسمع كلمة (صديقى) بتلك اللغة الغريبة، ووقف بسرعة، عندما شاهدها تتقدم نحوه مادة له يديها، فأسرع يمد لها يده ليصافحها، ولكنها فردت كفها فى وضع رأسى أمام صدرها، فنظر حائرًا لخاله الذى غمز له وأشار إليه أن يفعل مثلها، والتقى الكفان فى ود، وبرغم الرداء الذى يحيط بكفها أحس «هشام» لتلامس الكفين حرارة صادقة، جعلته يبقى كفه معلقًا فى الهواء، عاجزًا عن كبت انفعاله، خاصة وقد اتجه نحوه البروفوسير «مانسانا» هو الآخر، وانحنى أمامه فى أدب كاهن صينى قديم قائلاً:

– لقد أنقذت حياته بإحضارك إياه دون فتح الخوذة يا «هشام»، إذ لو فعلت ذلك لمات على الفور وتحلل جسمه بسبب الأوكسجين، عجيب أن

تكون لديك معلومات عنا وعن تركيب جسمنا.

رد «هشام» مضطربًا:

– ليس لدىّ أية معلومات عنكم، أنا لا أعرف حتى الآن من أنتم، لقد وجدته بالمصادفة، وحرت فى التصرف، بل قل إننى خفت أن أتصرف، خاصة وأنه كان يتألم.

قال البروفسير «مانسانا»:

– لا تسرف فى التواضع، لقد تصرفت بحكمة شديدة، وهذا يدفعنى دفعًا لتغيير خطتى.

ولم ينتبه «هشام» لكلمته الأخيرة، إذ كان مهتمًّا بشرح سر تصرفه مع «فادا»:

– الفكرة الوحيدة التى طرأت لى، هو احتمال أن يكون «فادا» من جنس آخر غير جنسنا البشرى، ولذا فهناك احتمال أن يكون نظام جسده الحيوى مختلفًا عن نظام أجسادنا الحيوى، لقد قرأت أن هذا افتراض بسبب اختلاف ظروف نشأة الحياة من كوكب لآخر، فلا نهائية الكون، تفترض لا نهائية أشكال الحياة على الكواكب المختلفة، أليس كذلك يا خالى؟ احتمال!

ضحك الخال وقد شجعه شرح «هشام» على الاستمرار فى مرحه:

وهل مازال ذلك احتمالاً أيها المفكر؟

أجال «هشام» بصره فيما حوله، واحتضن بعينيه الكائنات الفضائية الثلاث التى تحيط به، وكان «فادا» قد بدأ يستعيد وعيه ويتأمل هو الآخر ما حوله، وتمتم «هشام» وقد استسلم تمامًا للجو الغريب كالحلم:

– وكيف يمكن أن أشك فى صحة هذا بعد كل ما رأيته الليلة بعينى، وما لمسته بيدى، كيف يبقى ذلك احتمالاً، وما حدث الليلة ليس سوى البداية.

تحامل «فادا» وقام متجهًا ناحية «هشام» الذى فتح عينيه محاولاً اختراق ظلمة الخوذة، لعله يرى بعضًا من ملامحه التى كانت بالتأكيد تسيل رقة وعرفانًا بالجميل له، ولما مد «فادا» يده كما فعلت «هولى» من قبل، أسرع «هشام» فاردًا كفه فى حنان متمتمًا:

– ليست سوى بداية، لكن أى سبل المستقبل قد فتحتها الليلة أمامنا يا خالى؟!





٥

وجدت الأسئلة التى حيرت «هشام» إجابات معقولة، فقد تأكد لديه الآن بما لا يدع مجالاً للشك، أن الجسم الغامض الذى كان منطلقًا فى الهواء، ودفعه إلى الحفرة، أو بمعنى أصح – نفخه إلى الحفرة – كان سفينة فضاء حقيقية كالتى رآها فى الخيال، إنه لم يرها حتى الآن، ولكنه تحدث مع ركابها الثلاثة، وهم بالتأكيد ليسوا من سكان الأرض، وهو بالتأكيد لا يشارك فى تمثيل فيلم خيالى، إذن فهم فعلا من سكان ذلك الكوكب الذى سمع باسمه الليلة لأول مرة، ذلك الكوكب الغريب (الفا – فيروس) والذى شاهده آلاف المرات دون أن يعرفه طبعًا وسط ملايين النجوم والكواكب المنثورة على صفحة السماء الصافية، والتى طالما تأملها فى

الليل وحلم بها، بل كانت أمه فى طفولته تمتحن ذكاءه فتقول تلك (الفزورة) المشهورة عنها: كيلة فول مبدورة من هنا حتى إستمبول!

الآن، أصبح الأمر فزورة أكثر صعوبة، فزورة حقيقية!! وقد تجمعت لديه حصيلة لا بأس بها من المعلومات المؤكدة عن سكان الـ (الفا - فيروس) هذا، إنهم بشر مختلفون عن البشر، لأن نظام تركيب الخلية الحيوى فى أجسامهم مختلف، أى أن المادة العضوية المكونة لأجسامهم ليست كالمادة العضوية التى يتركب منها الجسم البشرى، فعلى الأرض، وخلال عصور سحيقة قديمة، وتحت ظروف بالغة التعقيد، حدث أن أصبحت ذرة الكربون هى الأساس الذى شكل بناء الخلية الحية على الأرض، فى حين ظلت ذرة النتروجين خاملة، وقد حدث العكس فى ظروف نشأة الحياة على كوكب (الفا - فيروس) إذ نشطت ذرة النيتروجين، وصارت أساس تركيب الخلية الحية هناك، وترتب على ذلك أن الكائنات الحية على كوكب (الفا - فيروس) لا تتنفس الأكسجين مثلنا، ولكنها تعتمد على غاز (الهليوم) ولله فى خلقه شئون كما يقولون!

وعرف «هشام» أيضًا أن هؤلاء الذين لا يتنفسون الأكسجين، متقدمون على البشر بمراحل هائلة، طبعًا لم يحدث هذا بسبب اختلاف التركيب الحيوى، ولا بسبب تنفسهم غاز الهليوم، لكن ذلك حدث لأنهم توصلوا لنظام اجتماعى راق، ألغوا معه الحروب والمنزاعات والصراعات.

مبددة لطاقة البشر الخلاقة، فتفرغوا لمحاربة المصاعب الطبيعية، وللسيطرة على الطبيعة، ومنذ حقب طويلة لم يبددوا لحظة واحدة فى إنتاج سلاح مدمر، أو أداة للقتل، وأصبح كل ما كان عندهم منها ملكًا للتاريخ وللمتاحف، أما بندقية الإشعاع التى يحملونها، فلم تكن أداة قتال أو قتل، وإنما وسيلة لتحذير العدو وشل حركته دون تفكيره لعدة ساعات، يمكن خلالها تحويله أو إقناعه أو إبعاده.

ومنذ زمن بعيد أيضًا، تولى الحكم فى كوكبهم مجلس من العلماء والفنانين، يحدد الإطار العام للسياسة، ويخطط لإسعاد أهل الكوكب وإثراء حياتهم، حتى وصلت إلى درجة رفيعة جدًّا فى الاستفادة من منجزات التكنولوجيا، فكان اعتمادهم على الطاقة الشمسية هو وسيلتهم لتنقية جو الكواكب ومنع تلوثه بنفايات مصادر الطاقة الأخرى.

ويشهد ذلك الجهاز الصغير - جهاز تعلم اللغات الكونية - بتفوقهم الفائق الذى وصل إلى حد الترجمة والحديث والفهم، عن طريق اللمس !! عجيب !! واضطر «هشام» إلى أن يدعك عينيه ليتأكد أنه ليس فى حلم، لأن ما رآه حتى الآن يفوق كل ما كان يتخيله، وما كان يقرؤه من حكايات خيالية، وما خفى كان أعظم!

إذ أن المفاجأة الأكثر إمعانًا فى الغرابة والخيال، كانت ذلك الخبر الذى

علمه بأن (خاله) - الدكتور «خميس» سيذهب معهم!!.

- إلى أين؟

- إلى كوكبهم (الفا - فيروس) يا «هشام».

- كيف؟

- مثلما جاءوا إلى هنا بسفينتهم طبعًا، أم تظن أننا سنذهب سيرًا على الأقدام؟!

كان خاله يجد القدرة على المزاح، بينما هو يكاد ينفجر من الخوف والانفعال، فاندفع نحوه يتشبث به:

- لن أدعك تذهب معهم أبدًا.

- إنها مسألة حياة أو موت يا «هشام»!

- موت مَنْ؟

- لا تخف، فهم بالتأكيد كفيلون بضمان سلامتى، أم أنك مازلت تشك فى قدراتهم بعد كل ما رأيته.

لم يرد «هشام» ولكنه ظل مقتنعًا أنه سوف يمنع خاله من الذهاب، وشكر الظروف التى ساقته إلى هنا الليلة، ليمنع هذه المخاطرة المجنونة، أو لشارك بدور فيها!

طرأ هذا الخاطر له فلم يعرف، هل يسعد بذلك؟ أم يستسلم لذلك الشعور الغامض بالحزن والقلق والذى اجتاحه الآن بقوة عارمة زلزلت قلبه الشجاع؟!

ارتمى على أحد المقاعد، فى حين انصرف كل من الزوار إلى أعماق لم يفهمها، وانشغلوا بأجهزتهم، واستغرق هو فى التفكير حول ذلك الخطر الذى يساق إليه خاله العجوز، الذى كان يبدو راضيًا مقتنعًا، بل بدت عليه بعض ملامح السعادة فى الوقت الذى يوشك فيه على القفز فى المجهول، والقيام (بشطحة) قاتلة، وإن بدت علمية:

– خالى، لن أدعك تذهب معهم.

– اسمع يا «هشام»، عد إلى بيتكم ولا تتحدث بشىء عما رأيته، إن واجبى يحتم علىَّ الذهاب معهم، واجبى كعالم، وواجبى كإنسان!

– ولكن لماذا أنت بالذات؟!

– ولماذا غيرى؟ أتريد أن تحرمنى من هذا الشرف، لقد كنت أول من قابلهم على سطح الأرض، وقد اقتنعت بسرعة وسهولة، فأنت تعرف أننى ضعيف أمام مثل هذه الأمور، هه؟ أنسيت أحاديثنا يا «هشام» عن تضحيات العلماء فى سبيل تقدم البشرية! أنت نفسك أقسمت أن تهب حياتك لخدمة العلم والإنسانية، هه؟ أتنكر، هيا لقد أضعت سنوات طويلة



لم تكن بندقية الإشعاع أداة قتال أو قتل، ولكن كانت وسيلة تحذير وإقناع للعدو.

من عمرى فى البحث فى أمور أقل من هذا شأنًا بكثير، وتصور أنت ماذا يمكن أن يعود على البشرية من رحلتى معهم!

– لكنك لم تعرف عنهم شيئًا سوى أنهم جاءوا من ذلك الـ (ألفا فيروس)، ولماذا؟ ومن هم وهل..؟ إننى.. ولكن.

واختلطت الكلمات فى فم «هشام» إلى بكاء بسبب انفعاله الشديد الذى أوصله إلى حد البكاء، فأخذ الدكتور «خميس» يهدئ من روعه قائلًا:

– يا ابنى لقد عرفت عنهم ما يكفى، فقبل مجيئك التقيت والبروفسور «مانسانا» وبدلًا من أن يذهب للبحث عن ابنه الذى فقده بعد وصول السفينة، ظل معى يناقشنى ويشرح لى سر زيارتهم وضرورة ذهابى معهم، فهل يكون سهلًا عليك أن تخيب رجاء رجل مثله، ترك ابنه يموت لينجز مهمة كلفه بها قومه لإنقاذ وطنه؟!

– ولكنى لا أعرف شيئًا عن هذا.. وأعتقد..

– دعك من كل هذا الآن، واذهب إلى منزلكم، وانسَ الموضوع حتى تجدنى هنا مرة أخرى.

– وماذا أقول لأمى وأبى؟!

– ياسيدى قل إننى سافرت إلى مكان بعيد مع بعض الأصدقاء الأجانب.

- ولكن..

- عندما أعود سوف تشكر الظروف التى جعلتك أمينًا على هذا السر خدمة للبشرية!

وضحك الخال وأكمل:

- يا «هشام» ألم تكن تحب دائمًا أن تقرأ عن تضحيات العلماء فى سبيل الاكتشاف والبحث والمغامرة؟ ألم تكن معجبًا بمدام كورى، بل وكنت تتمنى أن تصبح مثل جوليو كورى، حتى ولو ضحيت بحياتك مثله؟ هل نسيت؟ أم أنك تريد أن تخيب ظنى فيك!؟

واستطرد قائلا:

- على كل حال سأوضح لك بسرعة ما خفى عنك، لأنهم بمجرد الانتهاء من إصلاح أجهزتهم سوف يتعجلون الرحيل، لأنهم قلقون على بقية أفراد شعبهم الذين دفعهم قرب موت كوكبهم وفنائه إلى البحث...

قال «هشام» مقاطعًا:

- موت كوكبهم!! كيف؟!

- أنت تعرف أن الكواكب تولد وتشب وتشيخ.

- الكواكب ليست كائنات حية!!

- أعرف، ولكن «للألفافيروس» ظروف خاصة وشرحها يطول، المهم

أنهم يسعون لإنقاذ معلوماتهم عن الدنيا، واكتشافاتهم عن الكون، حتى لا تضيع وتفنى بفناء الكوكب، ولذلك اختارونى لأحمل كنوز حضارتهم إلى أهل الأرض، هل هناك فرصة رائعة كهذه؟ أم أنك تريد أن تحرمنى من شرف خدمة الإنسانية؟!

لم يستطع «هشام» أن يرد، ولكن ما يتحدث عنه الخال كان صعبًا على الفهم لدرجة أنه مع تقديره للدافع النبيل الذى يدفع الخال للذهاب معهم، ظل يرفض فكرة ذهابه معهم. ولما طالت المناقشة بينهما، بدأ القلق يساور البروفوسير «مانسانا» فتحرك ناحيتهم فى أدب فى حين كان الخال يهمس:

- سأشرح لك يا «هشام» لكن على وعد منك أن يظل الأمر سرًّا بيننا إلى أن أعود.

تدخل البروفوسير «مانسانا» قبل أن يكمل الخال حديثه، فقال فى أدب، ولكن فى حسم واضح، وأسرع «هشام» يلتقط جهاز تعلم اللغات الكونية ليسمع جيدًا ما سيقوله:

- يا دكتور «خميس» ليس لدينا وقت للشرح، إن مخزوننا من الغاز يتضاءل، ولن يكفى لرحلتنا إن لم نتحرك فورًا إلى المحطة الفضائية التى تدور حول الغلاف الجوى فى انتظارنا، إن أى تأخير قد يكلفنا فشل مهمتنا.

وهنا اقترب الدكتور «خميس» من «هشام» واحتضنه، فسالت دموع الفتى وصاح:

– لا يمكن أن تذهب، لا، ثم إننى لن أدعك تذهب وحدك، سآتى معك.

– لا يا «هشام» أنا أعرف شجاعتك، ولكن الأفضل أن تنتظرنى وأن تعود إلى البيت.

– لن أعود، سآتى معك.

وتقدم البروفوسير «مانسانا» قائلاً بصوت أكثر أدبًا وأكثر حزمًا:

– طبعا يا «هشام»، سوف تأتى معنا، هذا ما قررته.

التفت الدكتور «خميس» ناحيته فى دهشة واحتجاج، فابتسم «مانسانا» وهو يكمل:

– سيكون هذا أفضل لنجاح مهمتنا يا دكتور إن «هشام» ما يزال فى مرحلة مبكرة من العمر، يكون فيها الدماغ فى قمة حيويته، آسف يا دكتور، ولكنى أفضل مجيئه معنا.

وحاول الدكتور «خميس» أن يعترض، لكن الإشارة التى أبداها «مانسانا» كانت كافية لإقناعه بعدم جدوى الاعتراض، فهو يعرف أن «مانسانا» الذى رفض أن تغلبه مشاعره نحو ابنه المفقود، أو تغريه بترك

مهمته، لن يخضع لعواطف الخال نحو ابن أخته لو أصبحت عقبة أمام إتمام ما جاء من أجله.

ولذا فقد سكت الدكتور وهز كتفيه مستسلمًا، فى حين احتضنه «هشام» وكأنه يشكره سعيدًا بما انتهى إليه الأمر، لكن حزنًا غامضًا وخوفًا جارفًا جعله يتشبث بخاله أكثر عندما سمع البروفوسير «مانسانا» يصدر أمره (الأول) بالتحرك:

– هيا بنا إلى السفينة!





٦

«هشام» - يحكى ما حدث:

عندما قال البروفوسير «مانسانا» هيا بنا إلى السفينة! أحسست بخوف شديد، برغم لهجة الأدب الفائق التى نطق بها الكلمات، لأننى فجأة وجدت نفسى كمن يستعد للقفز إلى المجهول، وسقط قلبى فى رجلىّ كما يقولون، وتذكرت أنه لابد من ترك رسالة لأهلنا على الأقل، حتى يعرفوا ماجرى لنا، فالتفتُّ إلى خالى الذى بدا وكأنه قرأ مابذهنى، فدفعنى برفق إلى الأمام قائلاً:

- لقد كتبت رسالة إلى والدك فاطمئن.

قلت بدهشة:

– وهل سيعرفون أننى معك، لا أريدهم أن يقلقوا علينا.

ضحك خالى وقال:

– البروفوسير «مانسانا» تكفل بذلك.

– كيف، إننى لم أره يكتب شيئًا.

وهنا التفت «فادا» الذى كان يسير فى مقدمتنا وقال :

– صبرًا، ولاتعجل إنك ستتعلم كل شىء، لنا وسائلنا التى ستصبح وسائلك، فاطمئن.

قلت مستوضحًا:

– وهل أخبرهم البروفوسير بوجهتنا؟ إن ذلك قد يسبب لهم ذعرًا لا يحتمل.

قال خالى:

– لا تخف لقد اكتفينا بإخبارهم أننى أخذتك معى فى رحلة مفاجئة، مع بعض الأصدقاء من العلماء الأجانب.

فكرت بأن خالى يجارينى حتى لا أقلق، فسكت ومضيت خلف «فادا»

الذى أصبح دليلى فى أرض أعرفها حق المعرفة، وخلفى كان خالى كان ثم البروفوسير، وتأخرت «هولى» التى قامت بدور ساحرة الحواديت الخرافية، إذ قامت بإسدال الستائر، وإغلاق الأبواب بقوة غريبة وبسرعة بمجرد توجيه أحد الصمامات المضيئة فى حزامها.

ولما رأت اتساع الدهشة فى عينىّ، ابتسمت وقالت وكأنها تقرأ أفكارى :

– إن خيال الحواديت ياصديقى هو البديل الحقيقى لقدرة العلم والمعرفة، أيام كان العقل البشرى فى مرحلة الطفولة !!

كنت مقتنعًا بهذه الفكرة تماما منذ زمن بعيد، ولكنها كانت مجرد فكرة، ولم تكن واضحة هذا الوضوح الجلى الذى أراه أمامى، خاصة وأنها قرأت أفكارى كصفحة الكتاب، وكأنها ذلك الساحر الذى امتلك أسرار كنز الشمردل فى حكاية (جودر) فى ألف ليلة وليلة!

قاد «فادا» طابورنا الغريب، فى اتجاه التلال الواقعة خلف المنزل إلى الجنوب، شاقًا طريقه بين شجيرات التين، وكرمات العنب والنخيل المثمر، إلى حيث سفينتهم التى بحثت عنها فى نفس الناحية دون جدوى.

وابتسمت، إذ تخيلت ما يمكن أن يحدث لو رآنا أحد الصيادين

أو الفلاحين الذين يقطنون المنطقة ونحن نسير - أنا وخالى - وسط (ضيوفنا) الأعزاء المسلحين ذوى الملابس العجيبة؟!

وبعد قليل، وقف «فادا» وحرك صمامًا فى حزامه، فخلق حولنا تيارًا شديدًا من الهواء يلف كالدوامة، ثم سمعنا صوتًا كالصفير أخذ يعلو تدريجيا، ثم بدأت تظهر أمامنا نبضات ضوئية مجهولة المصدر، واهتزت الأرض تحت أقدامنا، فالتصقت بخالى، فضمنى إليه مشجعًا، ثم هدأ كل شىء، ورأينا أمامنا مباشرة ما يشبه كرة كبيرة من زجاج معتم، تقف على ثلاث سيقان معدنية تشبه سيقان جرادة خرافية ضخمة، كانت أمامنا، حقيقية تمامًا، سفينة فضاء لاتشبه أية سفينة عرفتها أو قرأت عنها من قبل، وعرفت الآن السر فى أننى لم أتمكن من رؤيتها، عندما بحثت عنها فى هذا المكان نفسه، لقد تمكن سكان (ألفا - فيروس) من الوصول إلى القوة القادرة على تحويل المادة من صورة إلى أخرى ببساطة معجزة، ولذا لم يكن من الممكن أن أرى السفينة قبل أن يظهرها «فادا» بجهازه، كما أن أحدًا من أهل القرية لم يكن ليرانا لو قابل موكبنا العجيب، وهو فى طريقه إلى السفينة!

فتح «فادا» بابًا صغيرًا أسفل السفينة (الفقاعة) - ولست أدرى لماذا طرأ لى هذا الاسم، فأطلقته عليها منذ الوهلة الأولى - ثم تدلى منه سلم

معدنى يتكون من سبع درجات، وتقدمتنا «هولى» إلى الداخل، وأشار لى «فادا» بالصعود، وبعد أن تبعنى الباقون، سحب السلم المعدنى، ثم أغلق الباب.

أصبحنا الآن ننتمى إلى عالم آخر، ولم أكن قادرًا على السيطرة على مشاعرى أو انفعالاتى، وكنت أحس بقلبى يدق بعنف، حتى خشيت أن يتوقف، فشغلت نفسى بتأمل داخل السفينة (الفقاعة)، محاولاً التعرف عليها، والتآلف معها، فقد يساعدنى ذلك على التكيف مع الوضع الشديد الغرابة الذى وجدت نفسى فيه.

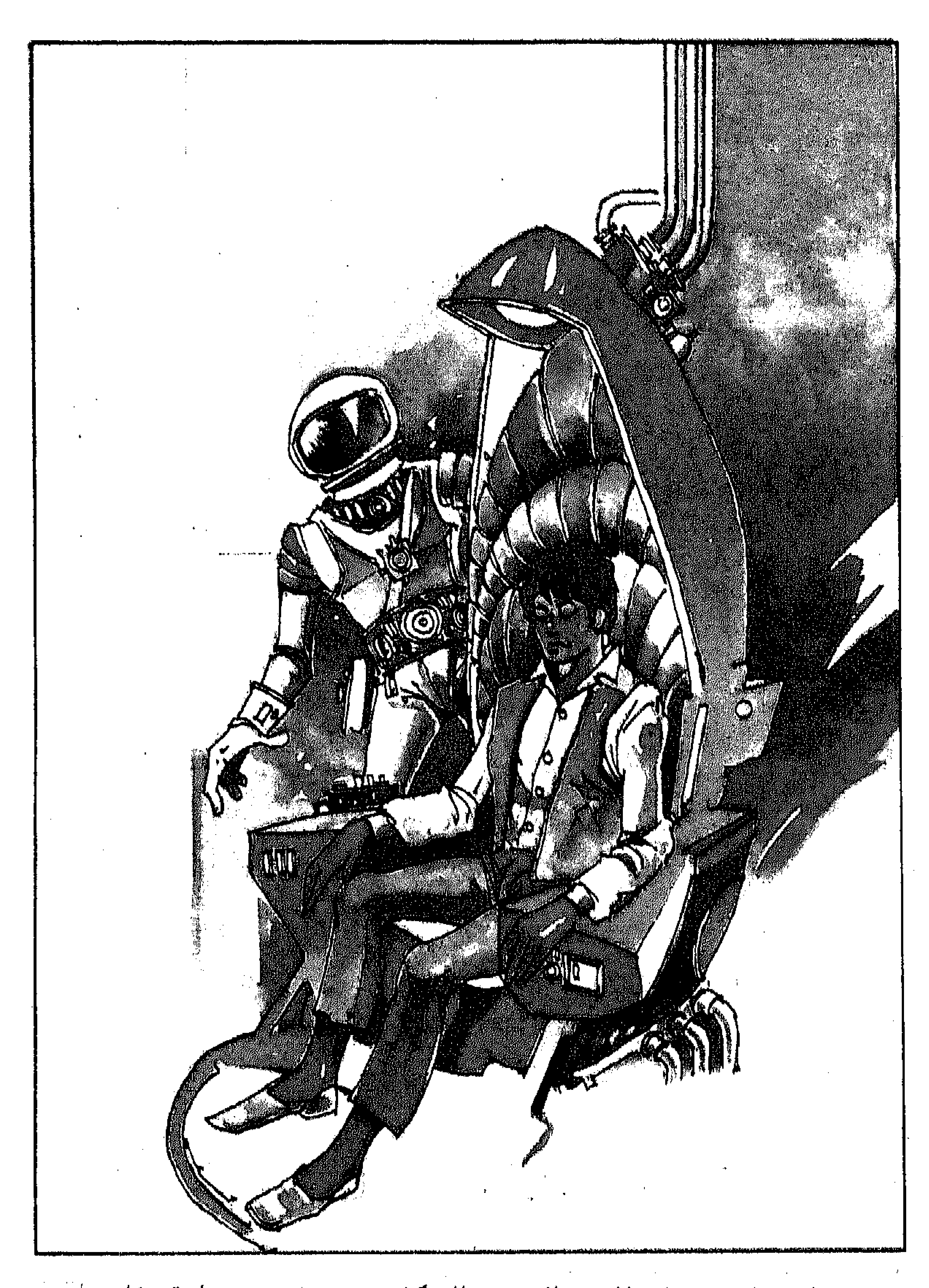
وقبيل تحرك السفينة، تأملت خلال جدارها الشفاف أشباح النخيل والأشجار وكروم العنب الأسود، ولمحت الهلال وهو يغرب ويزداد شحوبه ورعبه ثم يتلاشى، وغاص قلبى بين ضلوعى، إذ خيل إلىَّ أن وقتًا طويلاً سوف يمضى قبل أن أرى الهلال مرة أخرى من نفس زاوية الرؤية، فهمست له مودعًا فى حزن، وعدت أشغل نفسى بتأمل ما حولى، كان المكان أكثر اتساعًا مما يبدو عليه من الخارج، وكان فراغ السفينة (الفقاعة) مقسمًا لعدة أقسام، فتح «فادا» باب أحدها واختفى خلفه، وحرضنى حب الاستطلاع على الذهاب خلفه، لكن البروفوسير «مانسانا» دعانا للجلوس على مقاعد غريبة الشكل، وما إن جلست حتى أحسست

براحة غريبة وأمن لذيذ، وشعرت كأن المقعد يحتضنى برفق ذكرنى بأمى، فعاودنى إحساس القلق والحزن الغامض الذى ملأ قلبى مع بداية هذه الليلة، لكنه كان طاغيًا وعاصفًا لدرجة جعلت دموع الحنين تطفر من عينىّ.

ولمحت «هولى» فيما يشبه الحلم، تقف أمام لوحة معدنية مليئة بالأزرار والصمامات الملونة والسوداء، وأخذت تدير بعضها، وتضغط على البعض، وتغير اتجاه البعض الآخر، وكان المنظر الخارجى قد اختفى كله، إذ لم تعد جدران (الفقاعة) شفافة كما كانت من قبل. وأمامنا ظهرت شاشة ضخمة، ظهرت عليها فى البداية عشرات من الدوائر الضوئية النابضة، ثم بدأت فى الانتظام حتى ملأت الشاشة كلها صورة لصفحة الأفق أمامنا، تعلوها السماء اللا نهائية السوداء.

وعاد «فادا» ليقف خلف ما يشبه المنصة، وأدار مقبضًا فضيًا، فأخذت السفينة تهتز، وعاد الصوت والصفير، وازداد تدريجيًا مرة أخرى، وشعرت للحظة أننى أنتزع من حضن أمى، كانت السفينة (الفقاعة) تغادر فى نفس اللحظة سطح الأرض فى نعومة وليونة.

فى البداية، اختفت أشجار النخيل والكروم والشاطئ، ثم ظهرت حدود الدلتا تحفها الصحراء، ولمحت بحيرة البرلس كنقطة ندى منبعجة، وبعدها



وما إن جلست على المقعد الغريب الشكل، حتى شعرت براحة غامرة.

بدت ملامح القارات كخريطة مجسمة وملونة، وبعدها أسر قلبى حزام الشفق حول الأرض، صاعدًا من المحيط الهندى وآسيا، كان الشرق رائعًا، واختلطت الألوان وامتزجت، ثم مال الأفق فجأة بعيدًا.. بعيدًا، واختفت الأرض ورحت فى نوم عميق.





٧

خيل «لهشام» عندما استيقظ أنه يصحو من حلم طويل عجيب، فتحت خلاله أبواب المجهول أمام عينيه، فقد رأى مجرات وعوالم عديدة، وطار بين نجوم وكواكب، وعاش فى مدن كالقلاع الأسطورية، ورآها وهى تتحول إلى خرائب، وشهد حروبًا ضارية، وتمتع بلوحات فنية رائعة، وحفظ قصائد شعر، وشاهد عروضًا مسرحية، واستمع إلى موسيقى لا نهائية، والحقيقة أنه عندما استيقظ من نومه كان إنسانًا آخر، بالضبط مثلما أحس واكتشف بنفسه.

فلقد دفع «هشام» دفعًا إلى النوم، بمجرد أن جلس فى ذلك المقعد المريح بفعل موجات أثيرية خاصة تشعها مادته، ثم تولت «هولى» عملية تغييره،

جذريًا بإعادة ترتيب المعلومات بخلايا مخه وذاكرته، وقامت بصياغة تكوينه العلمى والعقلى من جديد بأحدث طرق التعليم، ووسائل اكتساب الخبرات التى توصل إليها علماء «الألفا متروس» وذلك بتوصيل أجهزة بعينها إلى أعضاء جسمه بطريقة خاصة، فوصلت جهاز (الإمداد الفكرى والفلسفى) بالدماغ، كما وصلت أطراف أصابعه بجهاز (اكتساب المهارات اليدوية) وآلة (ترديد الفعل اليدوى) كما وصلت بين أذنيه وعينيه بأجهزة (الإحساس الجمالى الفيزيوحيوى) وأحاطت وسطه بحزام معدنى غريب اللون، وظيفته (تهيئة الخلايا العصبية، وحفظ التوازن العضلى) فى مواجهة تيار المعرفة والخبرة المتدفق.

وكان البروفسير «مانسانا» يشرح للدكتور «خميس» العمليات التى تجرى أمامه، بعد أن طمأنه تمامًا على «هشام» :

– ولا يخفى عليك يادكتور أن عملية التعليم المركزة هذه، قائمة على خلق تيار عالى المجال من الأشعة والذبذبات الكهرو صوتية، والموجات الكهرو مغناطيسية المحملة بالعلومات وبالأفكار، وهى لا تستخدم عادة لمن هم أكبر سنًا، لأن الدماغ فى تلك الحالة يكون أقل قدرة على الاحتفاظ بالتوازن العصبى العطوى، مما قد يؤدى إلى الموت أو الجنون!

وانتفض الدكتور رعبًا عندما سمع ذلك، خاصة وابن أخته أمام عينيه

ينام مستسلماً، فى حين كانت الأجهزة والأسلاك والأضواء تنبض وتئز حول رأسه وجسمه فى سرعة، فعاد البروفوسير يطمئنه قائلاً:

- لا تخف فإننا أحرص على «هشام» منك الآن، نحن لم نقم برحلتنا هذه لكى نفقده فى النهاية، إنك لن تدرك الآن مدى قيمته لكوكبنا ولعشيرتنا، ولكنك ستحس ذلك عندما تتم عملية إعادة صياغته وتعليمه.

لقد تراجعنا عن جعلك وسيلتنا لنقل مكتسبات حضارتنا إلى البشر وحفظها من الضياع، لأنك لم تكن لتتحمل هذه العملية كما يتحملها هو، وكنا سنضع بين يديك كل ما نملك من كتب وشرائط (فيديو فزيونية) (وكهرو مغناطيسية) و (فوتو ضوئية). وكان استيعابها سيتوقف عليك وعلى الوقت الذى ستتيحه الظروف لك، وكان فى ذلك مخاطرة، أما الآن فهى بين يديك إن أردت، أما هو فكما أرى، يتم ما نرجوه بنجاح، فدماغه، تتمتع بحيوية فائقة، كما أن شبابه يساعده على تحمل ما يحدث، حيث تقوم الأجهزة بتغذية دماغه وذاكرته بكافة ما يعرفه علماؤنا من معلومات عن الكون وأصله، والفضاء ومداه، وعلاوة على كافة ما توصلنا إليه من نتائج تتعلق بكافة أوجه المعرفة والعلوم، خاصة مايتعلق بتحولات المادة، وتوليد الطاقة وتكنولوجيا السفر بين الكواكب.

فقال الدكتور «خميس» وكأنه يعتذر عن تدخله فى الأمر:

- ولكن أليس فى هذا خطر على كيانه البشرى؟!

- لا تخشى شيئًا يادكتور، فقد مررت أنا و «وفادا» بهذه العملية، وتؤكد ألاَّ ضرر منها على الإطلاق.

ولكن الدكتور قاطع «هولى» بقوله:

- أنت مختلفة! ومن الجائز أن يكون لنظامكم الحيوى، وتركيب خلايا أجسامكم دَخْل فى تحملكم مثل هذا، إنما تجرى الآن لأول مرة على إنسان؟! أليس كذلك!

ضحك «مانسانا» وقال موضحا:

- ألم تلاحظ يا دكتور أنك تسير فى السفينة وتتحرك، وكأنك فى منزلك الكائن على شاطئ البحر، إن لدى أجهزتنا العلمية القدرة على التكيف بحسب المادة الأولية التى تتعامل معها، لقد بقينا محتفظين بخواذتنا، معتمدين على مانملك من غاز، فى حين هيأت السفينة نفسها بما يتلاءم من احتياجاتك أنت و«هشام».

تلفت الدكتور حوله وأخذ نفسًا بصوت مسموع وقال:

- فعلا، كان يجب أن ألاحظ ذلك، كما أننى لم أشعر بمضاعفات السرعة، ولا حتى بانعدام الوزن وما إلى ذلك.

ضحك «فادا» وقال:

- إذا كنت تفتقد ذلك، أتحنا لك فرصة تجربته!!

لكن الدكتور اعترض ضاحكًا، ومضى يتابع عملية التعليم المركزة بدقة واهتمام، إذ أنها كانت تصنع من ابن أخته الحبيب ذاكرة بشرية حية، ورسولاً لحضارة وتراث «الألفا فيروس» المهدد بالفناء!.

كانت المفاجأة أكبر بعد أن استيقظ «هشام» حين أعلن البروفوسير «مانسانا» أن الفتى صار منذ اللحظة مسئولاً عن السفينة، وأن مهمة بعثة «الألفافيروس» قد انتهت بإعادة صياغته الفكرية والعلمية، وأن ثلاثتهم سيدخلون حالة (النوم البيولوجى) التى يكون نشاط الجسم الحيوى خلالها فى أدنى درجاته، بل فى درجة الصفر، ذلك لأن مخزونهم من غاز الهليوم أصبح على وشك النفاد، ولم يعد يكفى لاستكمال رحلة العودة إلى المحطة الفضائية، وفى الوقت الذى ذعر فيه الخال «خميس» لهذه القرارات، لم يجد فيها «هشام» أية غرابة، بل تلقى الأمر الأول كجندى، فحيا البروفوسير ومضى على الفور إلى حيث توجد لوحة القيادة، فقرأ تعليماتها الغريبة وتسلم من «هولى» سجل البيانات التى كتبها العقل المركزى للسفينة، وبدأ العمل على الفور، وكأنه يعرف كل شىء عن السفينة منذ ولد، وجلس الخال «خميس» يراقبه، وهو يصلح بطاريتين من البطاريات



وعلىَ لوحة القيادة بدأ هشام العمل، وكأنه يعرف كل شيء على السفينة.

الشمسية أصابها العطب، وهو يغير ويبدل ويسجل فى هدوء، فلم ينطق بكلمة، إذ كان لا يصدق أن هذا الذى يتحرك بكل هذه الثقة أمامه هو «هشام» ابن أخته الذى كان إلى ساعة سابقة يخطئ فى معرفة حاصل ضرب (٧ × ٨) فكان يرد تحيته بأحسن منها كلما مر به مبتسمًا لتشجيعه.

أما الأصدقاء الثلاثة، فقد انتابتهم حالة أخرى غريبة، إذ بدءوا يتحركون حركة ميكانيكية بطيئة متجهين إلى خلية داخلية مبطنة بما يشبه الصوف الزجاجى، فتبعهم صامتًا إلى هناك، فرآهم يرقدون فى توابيت ثلاثة كرجال آليين، أو بشر قدماء يقومون بطقوس ديانة غريبة، ولما سكنت حركتهم تمامًا، كانت المفاجأة الأخرى له أنه تبين أن «هشام» هو الذى كان يتابع حركتهم هذه منذ البداية، فدخل وراءهم وأخذ يضبط ويعدل حركة ودرجة تشغيل بعض الصمامات فى مقدمة كل تابوت، على حسب قراءات مختلفة كانت تظهرها أمامه بعض الشاشات الصغيرة، كما أخذ يسجل بعض الملاحظات، ويدون بعض الأسئلة ليجيبه العقل الإلكترونى المركزى عليها، فيغير تبعًا لإجابته من سرعة النبضات، وشكل الإشارات على الشاشات الصغيرة عند رأس كل تابوت.

كان الخال «خميس» ما يزال ينظر لابن أخته على أنه ذلك الذى يخطئ فى جدول الضرب، ولم يكن يقدر ما حدث له تقديرًا سليمًا، فقد كان ذلك

شيئًا يفوق كل خيال، وإن كان خيال عالم قدير مثله.

ظل «هشام» منهمكًا فى إدارة السفينة، وكأنه صانعها، وبعد أن انتهى من عملية إدخال الأصدقاء الثلاثة حالة النوم البيولوجى، وعدل السرعة والمسار، قلَّت كمية العمل حتى كادت تنعدم، فكل شىء صار يسير ذاتيًّا، ولم يكن عليه سوى أن يراقب الأمور تحسبًا للطوارئ، ولذا وجد الفرصة للاقتراب من خاله والجلوس معه، وكان الخال جالسًا، وقد وضع يديه تحت ذقنه، وقد جحظت عيناه من الدهشة والتعجب، فابتسم له متسائلاً عن سر هذه النظرة الغريبة التى يرمقه بها، وكأنه لا يعرف سرها حقًّا، ولذا انفجر الاثنان فجأة ضاحكين، وقد فهم كل منهما ما يريده الآخر وما يعنيه، كعادتهما دائمًا!





٨

سأل الدكتور «خميس» فى حين كانا جالسين أمام شاشة المراقبة الرئيسية التى انعكست عليها ألوان قزحية لا نهائية:

– ولكن بماذا تحس الآن يا «هشام»؟

قال «هشام»:

– صدقنى يا خالى إن ما يدهشنى حقًّا هو أننى لا أشعر بأى تغير، سوى أننى قادر على صنع أشياء كثيرة، وأننى أعرف أشياء لا حصر لها، فقط ذهب عنى ذلك الخوف الغامض الذى كان يرافقنى منذ التقيت بهم، غير أن هناك شيئًا غامضًا أو ناقصًا فى حكاية «البروفوسير» ما زال يقلقنى، ويبدو أنهم تعمدوا إخفاء بعض الأمور عنًّا.

لم يستطع الخال «خميس» أن يخفى جزعه لهذه الجملة الأخيرة فصاح:

– ماذا تعنى؟ هل تعنى أنهم خدعونا بإخفاء الحقيقة؟

ابتسم «هشام» قائلاً:

– ليس إلى هذه الدرجة، فليس هناك خداع، القصة فى مجموعها صحيحة، «الألفافروس» مهددة فعلا بالفناء، بل إنه على حسب النظرية الفلكية التى تؤكد أن الكون فى تمدد، والتى تقول: إن العالم كان فى البداية أشبه ما يكون – وهذا تبسيط شديد – بقنبلة ذرية تحتوى على جميع الطاقات التى فى الكون، وإنها انفجرت منذ مليارات السنين، وقذفت إلى الكون شظايا من النيران أو الطاقات والإشعاعات، وما النجوم سوى بعض هذه الأجزاء أو الشظايا التى تناثرت بعيدًا عن المركز، وإنها تواصل حركتها مبتعدة عنه وعن بعضها البعض، مثلما تبتعد صواريخ الأعياد، فتتنصل منها أجزاء يبرد بعضها بسرعة، ويبقى بعضها مشتعلاً لفترة، ولكنها تظل مرتبطة ببعضها البعض، يتبع كل منها الآخر فى المسار بفعل الجاذبية المركزية للحركة، وبما أن الانفجار الذى حدث ومازال مستمرًّا، ولذا فإنه فى الوقت الذى تنطفئ فيه نجوم، وتتلاشى أو تتبرد كواكب قديمة وتفنى، تولد أخرى من جديد.

قال الدكتور:

– لقد حدثنى البروفوسير عن هذا الفرض، وهو قائم بالفعل عند

بعض علمائنا، ولكن ما الذى تعمد إخفاءه عنا؟

رد «هشام» وقد اكتسى وجهه جدية لا تلائم سنه:

– الذى أخفاه عنا أن مهمته كانت قد انتهت، قبل أن يعدنى، ليكون دماغى أرشيفا حيًّا لحضارتهم وحضارة كوكبهم الميت!.

صاح الدكتور وقد فوجئ بقوله الأخير:

– ميت؟! هل تعنى أن الكارثة قد حدثت بالفعل؟!

فأكد له «هشام» ذلك، وقد اكتسى وجهه بحزن شديد:

– نعم، ميت، لدرجة أننا لن نستطيع أن نصل إليه، ولا الذين بقوا من أهله يستطيعون ذلك، لقد لفه الظلام تمامًا، وغطاه الجليد البارد بعد أن انطفأت شموسه الأربعة واحدة إثر الأخرى، وأنت تعرف أن سفينتنا تعمل بالطاقة الشمسية، شأنها شأن معظم آلات وأجهزة «الألفافيروس»، ولذا فلن نتمكن من الوصول إليه أو الهبوط على سطحه!

كان «هشام» يشرح ما يقوله فى ثقة من رأى الأحداث تحدث أمام ناظريه فى ماض لم يعشه:

– لقد انطفأت شموسه بعد أن شاخت وبردت، ولم تعد شموسًا على حسب النظرية التى تحدثنا عنها، وعلى فكرة، هناك احتمال كبير لحدوث

تغيرات فى التركيب الغازى لغلافه الجوى بسبب ذلك، وقد يصبح يومًا صالحًا لسكنى البشر، وساعتها قد نستطيع القيام برحلة إليه.

قال الدكتور «خميس»:

– هل قولك هذا نابع من معلوماتك أم من أحلامك.

وفهم «هشام» ما يقصده الخال فقال:

– وهل يستطيع الإنسان التخلى عن الحلم؟ المعلومات المجردة توحى بإمكان حدوث ذلك ذات يوم، ولكن الحلم هو الذى يستطيع أن يؤكده.

ضحك الخال:

– دون شمس؟ كيف يمكن أن يسكنه بشر دون شعاع الشمس الدافئ الساحر؟ بغيرها لن يكون سوى كهف بارد للشياطين.

ووافق «هشام» على كلامه قائلًا:

– طبعًا لن يكون ذلك دون شمس، فالحياة سوف تظل مستحيلة طالما بقى الكوكب أسير الظلمة، لقد دفن الجليد كثيرين من أهل الكوكب، إذ حدث ما عجل بالكارثة، فلم يتمكن الجميع من دخول حالة النوم البيولوجى.. قليلون هم الذين تمكنوا من ركوب السفن ومحطات الفضاء التى قدر لها أن تتمكن من مغادرة الكوكب، بعد أن اتخذ مجلس العلماء

الحاكم قراره بإرسال الرسل إلى كافة أنحاء الكون للبحث عن شاطىء نجاة لمن بقى منهم، وكانت إحداها تلك التى التقينا بها على شاطئ بلطيم، لقد ظنوا أن الأرض صالحة لهم، ولما لم يجدوها هكذا، اتخذ «مانسانا» قراره بنقل المعلومات إلى دماغى، الذى أعرفه الآن أنه قرر ذلك فجأة بسبب مجهول مازلت أحاول الوصول إليه.

قال الخال:

- يا للأسف، يعنى أهؤلاء الباقون منهم على قيد الحياة يهيمون الآن فى الفضاء الكونى دون أرض أو وطن؟

قال «هشام» فى أسى:

- نعم من تبقى منهم، وقد نلتقى ببعضهم يومًا مّا، ولكن الأغلب الأعم أنهم سيدخلون حالة النوم البيولوجى، إذا ما نفد مخزونهم من الهليوم.

قال الخال وقد تذكر شيئًا:

- وماذا عن المنصة الهوائية؟!

- إننا فى طريقنا إليها بالطبع، ولو أننى أشك فى فائدة ذلك، فإن شيئًا ما قد حدث، وأنا ما زلت أحاول الوصول إلى طبيعته، ولذا فعلىَّ الآن أن أقوم ببعض الحسابات الضرورية بسرعة!

ضحك الخال «خميس» وقال ضاحكًا هذه المرة:

– حسابات؟ لقد أصبحنا نجرى حسابات كثيرة الآن، أرجو ألا يكون بينها شيء من جدول الضرب الأرضى، خاصة، الـ ٧ × ٨ ، وإلا ضعنا فى الهامش، ووجدنا أنفسنا خارج الزمان.

ضحك «هشام» وقال:

– لا حاجة بى لمعرفة الـ ٧ × ٨ وما تساويه، فالعقل الإلكترونى هو الذى يزودنى بكل العمليات التافهة هذه، فلا تخش شيئاً!





٩

أخذ «هشام» يجرى حساباته، ويعدل الاتجاه والسرعة على حسب ما تظهره الأجهزة ليتجه مباشرة إلى المنصة الفضائية، وأكثر من مرة حاول الاتصال بركابها، ولكن صمتًا مريبًا كان هو الرد الوحيد على كل محاولاته.

وكان الخال «خميس» يفكر وهو يراقب ابن أخته الذى أصبح فجأة ملاحًا فضائيًا، يقود سفينة على درجة كبيرة من الرقى والتقدم التكنولوجى، ومع أن الموقف الحالى كان يشغله إلا أنه كان مشغولاً أكثر، بما سيحدث بعد عودتهم إلى الأرض، وإلى أى مدى ستستفيد البشرية والعلم الحديث بذلك الكنز الغالى الذى أصبح يمثله الفتى «هشام».

وشدت انتباهه القدرة الفائقة للسفينة (الفقاعة) على المناورة، وعلى تحويل مسار النيازك والشهب التى كانت تنطلق بقوة نحوها، فما تكاد تقترب منها، وتكون على وشك الاصطدام بها، حتى تتحول بعيدًا، وتتفتت وكأنها اصطدمت بمجال صلب غير مرئى.

وبعد فترة قصيرة، ظهرت المنصة الفضائية. فجذبت الانتباه بمنظرها الرائع الأسطورى، كانت أشعة الشمس تنعكس على زواياها وأركانها، فتبرق مثل جوهرة تشع بآلاف الحُزم الضوئية وسط السماء السوداء.

كانت تنطلق بسرعة مقاربة لسرعة (الفقاعة) مقتربة منهم فى مدار مجاور، فبدت كمن تسير بوقار وكبرياء، ثم اندفعت فجأة تعبر أمامهم فى سرعة خاطفة، مبتعدة كقذيفة ضخمة تدور حول نفسها.

كان شكلها العام يشبه زهرة (ست الحسن) المقلوبة، تحيط بها مئات الآلاف من الصفائح المعدنية التى تمتص أشعة الشمس، لتحويلها لطاقة حركة متعددة الصور.

وكاد الخال يسأل «هشام» لماذا تركتها تبتعد؟ إذ ظن للوهلة الأولى أن هناك خطأ ما، ولكن «هشام» التفت إليه هو يحرك ذراع التشغيل وصمامات الفرامل والطاقة فأوضح له:

- سوف ندخل مجالها بعد لحظات، لكننا سنقوم بدورة كاملة حولها



كانت الفقاعة لها قدرة فائقة على المناورة، فكانت تحول مسارها بعيدًا عن النيازك التى تكاد تصطدم بها.

أولا، لنرسو داخل مينائها الذى سأصدر إليه الأوامر، كى يفتح لنا بوابته الرئيسية، إلا أن أحدًا لا يرد علينا من ركابها.

وأدار «هشام» صمامًا جانبيًّا، ثم شد ذراعًا صغيرة بجوار قاعدة الشاشة الرئيسية، فبدت بعض النبضات الضوئية على شاشات أصغر، وأمام منصة القيادة ظهرت المنصة على إحداها.. وبدت (الفقاعة) على واحدة أخرى... فى حين كانت ثالثة تعكس عملية الهبوط والالتحام كاملة

قال الخال مبتهجًا كطفل صغير:

- ها هى، لقد أمسكنا بها، ولكن لماذا لايرد أحد من ركابها.

قال «هشام» وهو يبتسم مشجعًا:

- منذ توليت القيادة وأنا أحاول ذلك بلا فائدة، ويبدو أن ما استنتجته هو ما حدث فعلاً!..

سأل الخال فى قلق:

- وما هذا الذى استنتجه؟

رد «هشام» فى هدوء حتى لا يزيد من قلقه:

- لا، لا شىء هام، فمازلت أتمنى أن يكون الخطأ من ناحيتى أنا، أفهم

أنهم لا يردون، وقد يكون مخزونهم من الغاز قد نفد، فدخلوا حالة النوم!

لكن الخال قال فى شك واضح:

– ولكن المنصة لابد وأن تكون مجهزة لإنتاج الغاز الذى تقوم عليه حياتهم! إن ذلك لو كان حقيقة فنحن سنواجه كارثة!

ولكن «هشام» الذى بدا مشغولاً أكثر بما أمامه من مهام عاجلة لإتمام عملية الرسو، واصل عمله ولم يرد، وأخذ يدون بعض الملاحظات والأسئلة دفع بها إلى العقل الإلكترونى المركزى، فزوده هذا بإجابات، عدَّل على ضوئها ذراع وصمامات تصحيح المسار، وهنا أخذت المنصة تظهر هى والسفينة من زوايا مختلفة شديدة الوضوح أمامهم مباشرة.

وازداد انفعال الدكتور «خميس» بها، فقد كانت تشبه مدينة من مدن الجن الخرافية، خرجت عليهم من بين، كُتل الظلام الكثيفة، وبدأت (الفقاعة) تبطئ من سرعتها بالتدريج، ولما أتم «هشام» ضبط الاتجاه، أطلق صواريخ الفرامل، فاختلف الموقف وأصبحت (الفقاعة) تسير فى الاتجاه المضاد، أو هكذا بدت لهم، وصارت المنصة خلفهم تطاردهم فى بطء وإصرار، ولم تكُن (الفقاعة) تفر من المطاردة، بل كانت على العكس تستسلم لها كطفلة تنزلق إلى أحضان ذراعى أمها الضخمتين اللتين امتدتا لتحيطا بها، وتجذبانها نحو باب ضخم ذى مصراعين.

وما إن عبرت (الفقاعة) تلك البوابة حتى عادت تنغلق أوتوماتيكيًّا، وكان الدكتور «خميس» يراقب كل ذلك ويتابع تصرفات ابن أخته الواثقة، وهو فى غاية الانفعال والدهشة، وأيقظه من دهشته رنين الصوت الناتج عن رسو السفينة تمامًا فوق أرض الميناء المعدنية، وخيل إليه أن صدى الصوت يأتيه لا عبر سماعات المتابعة، ولكن عبر عصور زمنية سحيقة، والتفت «هشام» نحو الخال فنبهه من حالة الاندهاش التى كان أسيرًا لها، وقال:

– سنضطر لارتداء ملابس فضاء كاملة يا خالى، لأن أجهزة التحليل الغازى تظهر أن الجو داخل المنصة غير ملائم لنا، ويبدو أن المنصة وأهلها ليسوا فى انتظارنا كما توقعت، شىء ما قد حدث، فلنستعد لأية مفاجأة قد تكون فى انتظارنا عند خروجنا من سفينتنا.

ولأول مرة، رنت كلمة (سفينتنا) فى أذنى الخال «خميس» فأحس لها صدًى غريبًا جعله يلتفت إلى حيث يرقد أصدقاؤهم الثلاثة ويقول فى حزن:

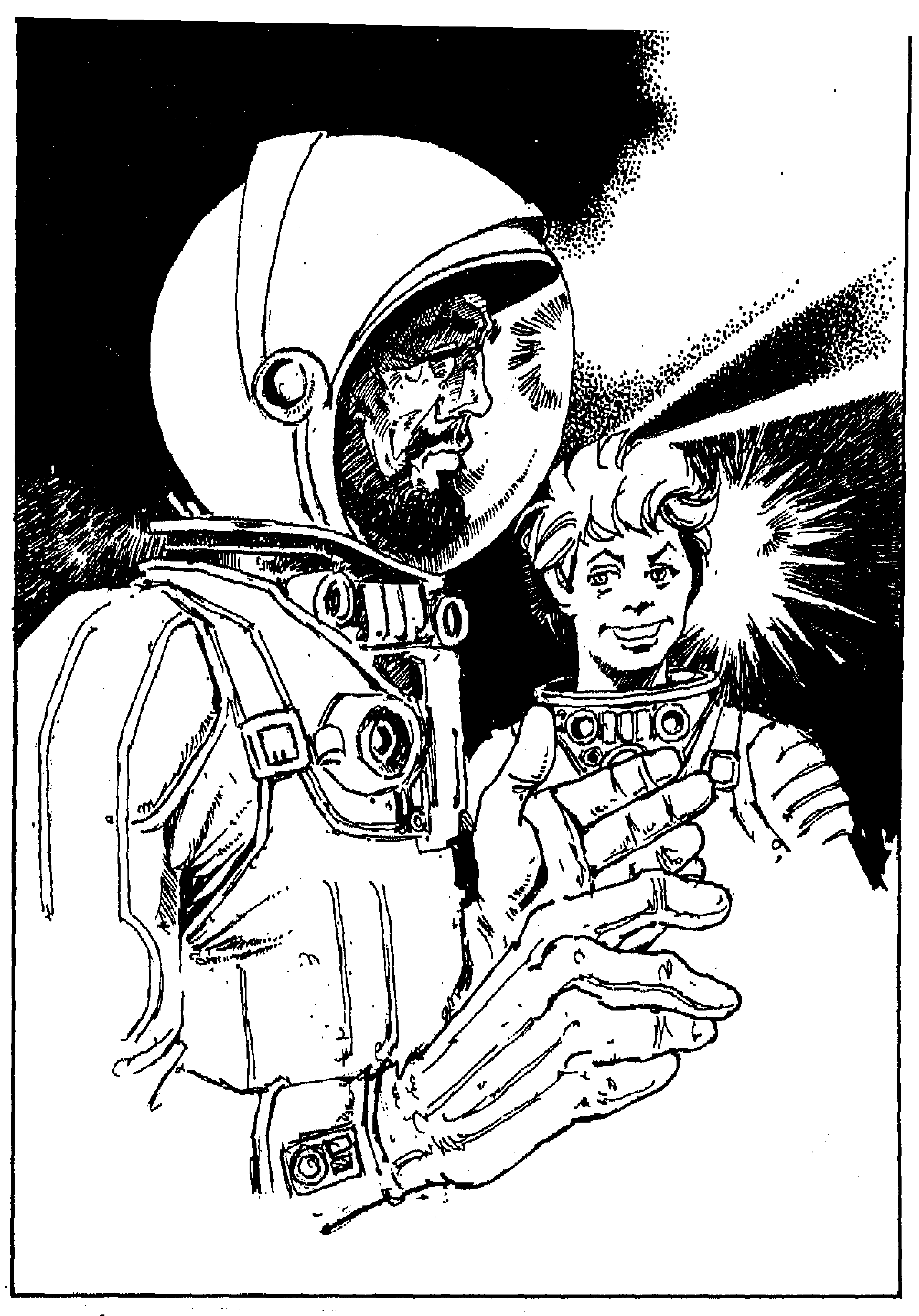
– وأصحابها؟ ألن نوقظهم؟ كانت هذه وجهتهم، فيجب تنبيههم إلى أن رحلتهم قد انتهت.

قال «هشام» بابتسامة حاول أن يخفف بها من وقع حديثه:

– ليس الآن؟ علينا أن نكتشف أولا ما حدث لأهل المنصة، فلابد أن شيئًا ما منعهم أو جعلهم لا يتصلون بنا، وأنا أخشى أن تكون كارثة قد حدثت لهم هنا بعد موت كوكبهم.!

قال «هشام» هذا وفتح مخزن المهمات، وطلب من خاله ارتداء إحدى بدلات الفضاء، وساعده على ضبط أجهزتها وزوده بما يكفى من الأوكسجين، ثم ناوله بندقية إشعاع وجهازًا للغات الكونية، وارتدى هو الآخر بدلة أخرى وتناول بندقية ثانية، وعددًا من أجهزة فحص المجال، وعندما لفت الخال «خميس» نظره كي لا ينسى جهاز اللغات، ضحك «هشام» للفكرة، وغمز بعينه لخاله، فتذكر الخال أن ابن أخته لم يعد فى حاجة لوسيط لغوى للتفاهم مع سكان (الألفافيروس) أو مع غيرهم!





طلب هشام من خاله ارتداء إحدى بدلات الفضاء، ثم ساعده على ضبط أجهزتها.



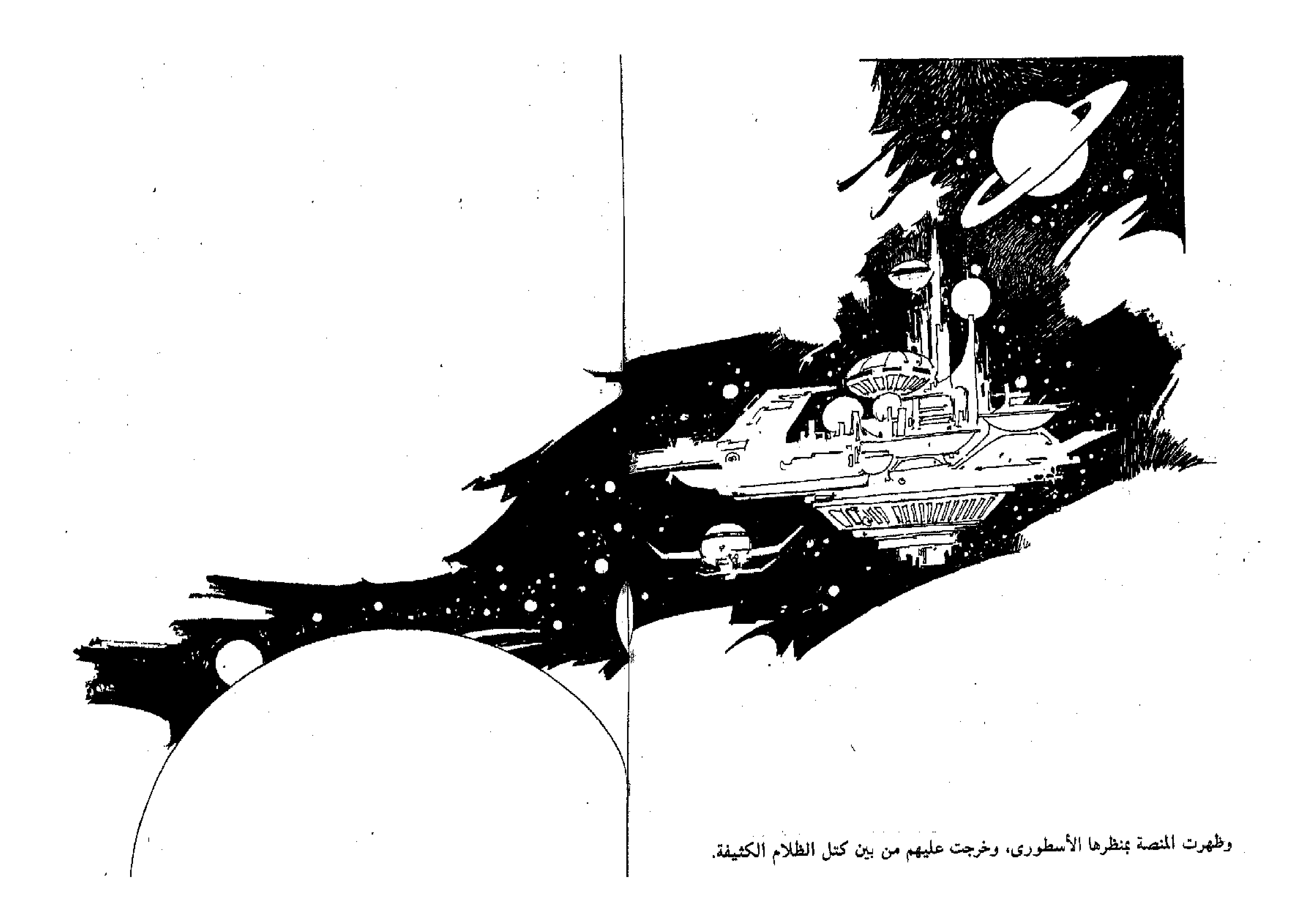
١٠

كان الصمت يلفّ ميناء المنصة الفضائية، وكانت عشرات من الحُزم الضوئية الملونة تشع وتبرق من الجدران.

أى فنان ماهر صنع هذا؟

وأى عالم ذى قلب حساس جعل من هذا البناء العلمى تحفة فنية؟

كان كل ما يبدو أمامها يقدم دليلاً قاطعًا على كذب القول بأن التقدم العلمى يقتل الحس الجمالى، أو أن الفن مصيره إلى زوال مع التقدُم العلمى، وعلى العكس تمامًا كان كل شىء يدل على ذلك التناغم الأبدى بين الفن والإنجازات العلمية، عندما يكون هدفها الرقى بحياة البشر ماديًا وروحيًا.



وظهرت المنصة بمنظرها الأسطورى، وخرجت عليهم من بين كتل الظلام الكثيفة.

كان الخال «خميس» يتأمل ما حوله، وقد امتلأ قلبه بتقدير عظيم لتلك الكائنات التى وصلت إلى ما وصلت إليه من تقدم، وحافظت على اللمسة الفنية الساحرة فى كل شىء، كان هذا ما يعتقد الخال «خميس» بضرورته، ولطالما دعا إلى ذلك.

ومثلما فعلت «هولى» من قبل، ضغط «هشام» على أحد صمامات حزامه فانفتح الباب الضخم، فعبره وخلفه الخال إلى طرقة طويلة تؤدى إلى ممر دائرى يحيط بقاعدة المنصة كلها على ما يبدو، ويحتوى على بعض الأماكن الأكثر اتساعًا حيث يوجد بكل منها عدد من الكراسى والمناضد المثبتة فى الأرض، وكان فراغ المحطة كله يشع بإضاءة خضراء لا مصدر لها مثل تلك التى رآها «هشام» أول مرة هناك فى منزل خاله ببلطيم.

وكانت الأبواب على الجانبين مغلقة يلفها السكون، وتقدم «هشام» من أحدها وفتحه باستخدام أرقام معينة، ودخل يتبعه الدكتور الذى شهق شهقة أسف، عندما شاهد اثنين من سكان (الألفافيروس) يرقد كل منهما فى تابوت، مرتديًا بذلته الفضائية، وقرأ «هشام» البيانات التى تظهرها العدادات على جانب التابوت، ثم تابع عددًا من النبضات الضوئية وهز رأسه وتمتم:

- هذا ما خمنته!

سأل الخال فى لهفة:

- ماذا؟ ما فكرتك عن كل هذا؟

رد «هشام» موضحًا:

- لقد دخلوا جميعًا إلى حالة النوم البيولوجى، ونحن مازلنا على سطح الأرض.

قال الدكتور «خميس»:

- إذن فقد كان «مانسانا» يعرف ذلك؟

لكن «هشام» أسرع يقول:

- لا أستطيع التأكد، ولكن يبدو لى أنه لم يكن يعرف ما حدث بالضبط، على كل حال سنعرف كل شىء عندما نصل إلى مركز قيادة المنصة!

سأل الخال «خميس»:

- ولماذا لجئوا إلى النوم؟ هل نفد مالديهم من غاز؟

قال «هشام» وهو يمضى للخارج:

- سيخبرنا سجل معلومات القيادة.

ثم أغلق الباب، وواصل إلى جوار خاله السير إلى الأمام، وفجأة صاح الخال «خميس»:

- انظر «هشام».

التفت «هشام» إلى حيث أشار خاله، فرأى أحد الأبواب محطمًا بطريقة عنيفة، فاتجه نحوه فى حذر، وأخذ يفحص آثار التحطيم، فى حين تقدم الخال لفحص الغرفة، وهناك كان أحد التوابيت محطمًا وخاليًا، فيما عدا بذلة فضاء مهشمة الخوذة، وممزقة من الوسط عند الحزام بقسوة.

فسأل:

- ماذا يعنى هذا؟

قال «هشام» وهو يفحص آثار التمزق بعناية:

- إننى أحاول تكوين فكرة، هيا بنا إلى مقر القيادة.

وأسرع الخال «خميس» خلفه إلى حيث المصعد، وأوضح «هشام»:

- سنذهب أولا لفحص الآلات والأجهزة الرئيسية، فأنا أخشى أن يكون هناك تدمير مقصود قد أصابها.

وما إن تركا المصعد فى الطابق الذى توجد به الأجهزة المركزية، حتى بدأت لها آثار التخريب واضحة فى أكثر من مكان، كانت هناك أسلاك

مقطوعة، ودخان أحمر ينطلق من إحدى الأنابيب المهشمة، ولهب غريب اللون يشتعل فى مجمع للأسلاك، وتهشم فى صندوق توصيل عند إحدى الزوايا، فأسرع «هشام» لمواجهة الموقف، ودل خاله إلى جهاز مقاومة الحرائق، فتولى الخال توجيهه نحو اللهب وأطفأه، فى حين انهمك «هشام» فى فحص ووصل الأسلاك المقطوعة والأنابيب المحطمة.

وفجأة عندما خرجا من المكان إلى الممر الرئيسى، أمسك «هشام» بخاله، وأرهف الاثنان أذنيهما، إذ سمعا صوتًا معدنيًّا رتيبًا كأنه خطوات بطيئة ثقيلة، لها رنين وصدى، تقدم «هشام» بحذر فى المقدمة، شاهرًا بندقيته، فى حين كان خاله يحمى ظهره تحسبًا لأية مفاجأة، ومرت لحظات مشبعة بالتوتر، ثم توقف «هشام» وأشار إلى خاله كى ينظر ناحية أعلى مدخل المركز الآلى، كان هناك تيار من غاز أخضر اللون يندفع بشدة نحو مركز اتصال الأسلاك الذى كان غطاؤه مفتوحًا، وتيار الغاز يدفعه نحو الحائط المرة بعد الأخرى، محدثًا ذلك الصوت الذى بدأ كصوت خطى معدنية!

كان الغاز يندفع من ماسورة جهاز التحويل الغازى، فأسرع «هشام» ليفحص درجات تركيز الغازات المختلفة، قال:

- ليس للهليوم، وهو الغاز الأساسى بالنسبة لهم، أثر فى المحطة كلها،

وأكاد أجزم أن هذا التخريب كان متعمدًا.

- ولماذا يخربون محطتهم؟

- ليسوا هم طبعًا، لقد فوجئوا بهجوم ما، ولم يكن أمامهم سوى الاحتماء خلف الأبواب المغلقة من المهاجمين، واللجوء إلى حالة النوم البيولوجى، تحسبًا لنفاد الغاز الضرورى.

- أتعنى أنه هجوم خارجى؟

- طبعًا! هجوم لغرباء، كان هدفهم نهب المحطة أو تخريبها.

- ولكن التخريب لم يحدث إلا فى أماكن محدودة يا «هشام»، كما أن المحطة ما زالت تعمل، وليس هناك أثر لنهب أو سرقة، فماذا كان الغرباء يستهدفون، لابد أن شيئًا بعينه هو الذى كانوا يسعون وراءه، وأعتقد أنه شىء يتعلق بغاز الهليوم.

- أعتقد أن الهجوم كان لبعض قراصنة الفضاء.

لكن الدكتور «خميس» قال فى دهشة:

- قراصنة؟ ماذا تعنى؟

وشرح «هشام» رأيه قائلًا:

- ليس سكان (الألفا - فيروس) وحدهم الهائمين فى الفضاء، كما أنهم

ليسوا أول من هجروا كوكبهم، لقد حدث هذا لسكان كواكب كثيرة شاخت أو ماتت فوقها مظاهر الحياة، أهل (ألفافيروس) رحلوا للبحث عن شاطئ نجاة لإنقاذ حضارتهم، والحفاظ على ما توصلوا إليه من معارف، آخرون تركوا كواكبهم لأسباب أخرى متعددة، بعضهم للهرب أو للغزو أو للاكتشاف!

ضحك الخال وقال:

– يبدو أن كل المعلومات التى حشى بها سكان (الألفا فيروس) دماغك لم تؤثر على خيالك الأرضى، أتحاول أن تبتكر أحداث قصة هيتشكوكية؟!

قال «هشام» بجد:

– وهل تعتقد أن الفضاء سيخلو من هيتشكوك فضائى مثير؟!

رد الخال دون ضحك هذه المرة:

– على كل حال فَلْنَدع التخمينات ولنبحث عن الحقائق، والحقائق فقط، فليس هناك وقت نضيعه، إما أن تعود إلى الأرض حاملاً كنز معارفك العظيم، أو نضيع هباء فى الفضاء.

سار الاثنان ليكملا فحص الطابق الذى يحتوى على الأجهزة الرئيسية

قبل الصعود إلى مركز القيادة، وعلى طول الممرّ كانت الحجرات مغلقة بإحكام، وقد رقد خلفها الكثيرون من سكان (الألفا فيروس) فى سلام، وكان بعض الأبواب محطمًا ! إما لأن أصحابها تأخروا فى الوصول إليها، أو أبدوا بعض المقاومة.

وعندما وصل «هشام» والدكتور «خميس» إلى حيث مركز التشغيل الرئيسى، كانت آثار التخريب شاملة إلى درجة كبيرة، ولاحظ الدكتور أنها تكاد تكون شاملة فى بعض الأجزاء، فى حين كانت هناك أجزاء كثيرة لم تمس، ولما حاول سؤال «هشام» عن رأيه فى السر وراء ذلك، قال «هشام»:

– سوف تتهمنى بالخيال الهيتشكوكى مرة أخرى، ولكن الذين صنعوا هذا التخريب كانوا، على ما أعتقد، يبحثون عن مادة معينة، ولذا انتزعوا معظم الأجزاء التى دخلت فى صناعتها هذه المادة، انظر هنا، وهنا، وتأمل ذلك بالذات، إنه جهاز التحويل الغازى المركزى، والمادة التى أعنيها، يصنع منها الجزء الرئيسى منه.

قال الدكتور:

– ولماذا لم يقاوموهم ؟!

– يمكن القول إن المفاجأة كانت كاملة، أو قد يرجع ذلك إلى أن أهل

(الألفافيروس) ليسوا مقاتلين جيدين، أو هم لا يريدون القتال، أو نسوا القتال مطمئنين إلى سلام يحميه تقدمهم الحضارى، وها أنت ترى النتيجة عندما جد الجد! ولعلك لاحظت بنفسك مدى فاعلية البندقية التى يستخدمونها، إنها تحذر فقط ولا تقتل، أما الآخرون فيبدوا أنهم أقدر على القتال، لست أدرى ولكنى أعتقد أن هذا تفسير لما حدث.

ضرب الدكتور «خميس» بقبضته على البندقية التى يحملها وقال:

– ليس هذا مبررًا، إذ ينبغى على الحضارة أن تدافع عن نفسها على طول التاريخ كانت الحضارة قادرة على صد هجوم أعدائها، إلا عندما كان التحلل يصيبها من الداخل، ما من بلد أو جماعة هزمت إلا وكانت أسباب هزيمتها كامنة فى بنائها، ويبدو أن أصدقاءك لم يصل كوكبهم إلى الشيخوخة وحده، ولكن حضارتهم أيضا.

ضحك «هشام» وقال:

– سوف نجد تفسيرًا بالتأكيد، إذا كانوا قد تركوا رسائل، فهيا إلى مركز القيادة.

وفى مركز القيادة، فحص «هشام» الأرشيف بواسطة العقل الإلكترونى، الذى كشف له عن كثير من الشرائط الضوئية والصوتية، تمثل سجلاً كاملاً لرحلة منصة الفضاء.

ولما أدار جهاز الفيديوزون، اختلطت على الشاشة الرئيسية الدوائر والخطوط، ثم ظهرت صورة لنفس الغرفة، وعلى المنصة الرئيسية لأجهزة التحكم، ظهرت صورة مخلوق غريب، أثارت دهشتهم ملامحه التى كانت عجيبة، ولكنها كانت أليفة، ولم يبد على «هشام» أنه قد دهش لمنظرة، أما الخال «خميس» فقد كانت دهشته فائقة، إذ كانت المرة الأولى التى يشاهد فيها أحد سكان (ألفافيروس) دون قناع!





١١

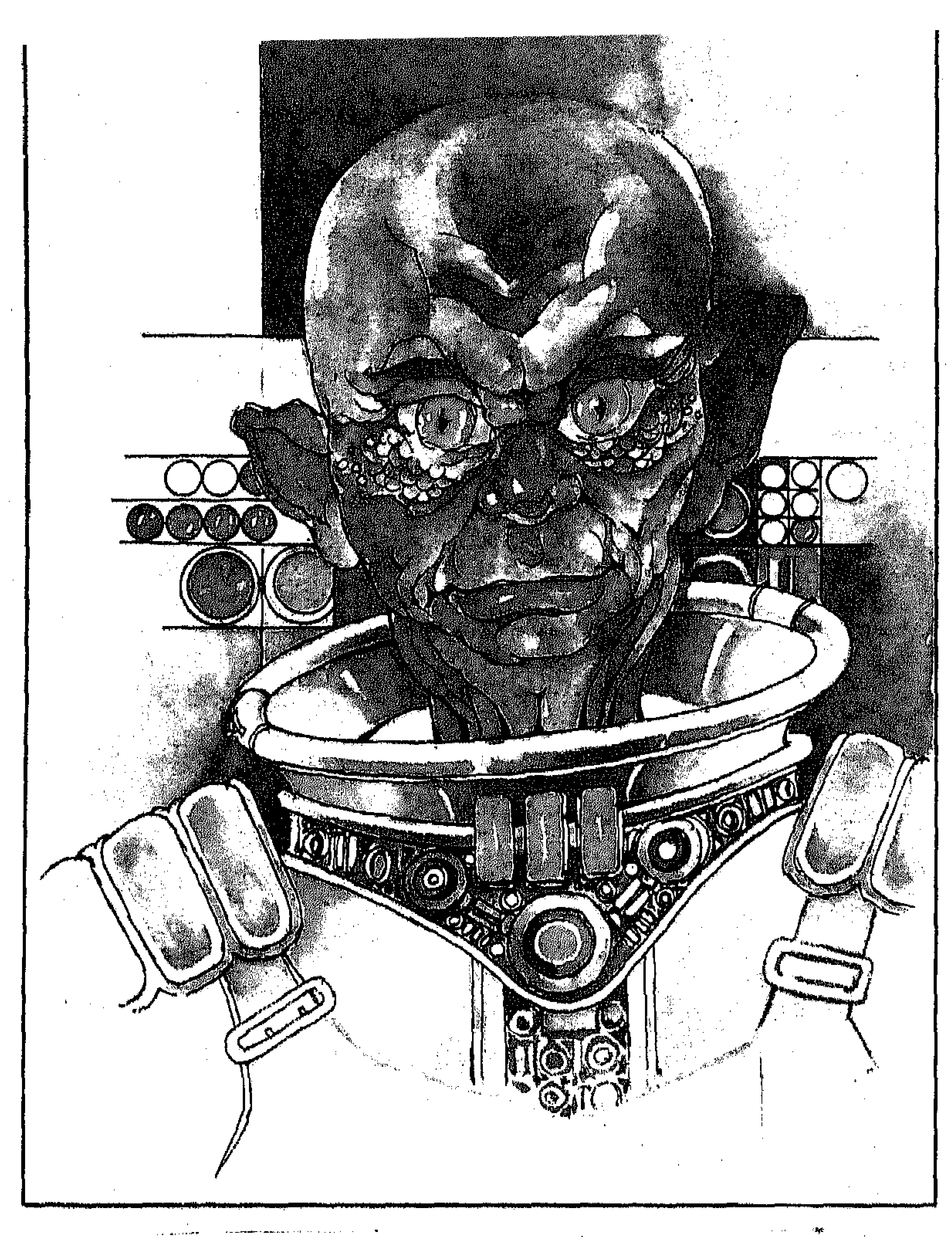
كان قائد المنصة كما بدا على الشاشة شديد الهرم، بالرغم من شدة حيويته ونشاطه، اللذين يفوقان حيوية ونشاط «مانسانا»، وبينما راح الخال «خميس» يتأمل صورته فى اهتمام، راح «هشام» يعدل من صمامات الجهاز، ويسجل ملاحظاته دون أن تلفت غرابة ملامح الرجل نظره، وكأنه رآها من قبل وعايشها، كانت بشرة الرجل تكاد تكون خضراء، ولكنها خضرة لا تشبه ما نعنيه نحن على الأرض بالخضرة، إنها خضرة كونية رائعة، وكان وجهه مستطيلاً بعض الشيء وبعضًا من قشور فضية باهتة تحت جفنيه وحول الأذنين، أما قمة رأسه فقد كانت استدارتها كاملة، فبدت أكثر من رأس الرجل العادى، لخلوها التام من الشعر.

وبالرغم من غرابة ملامح الكائن (الألفافيروسى) فإن وجهه كان يوحى بهدوء عظيم يبعث على الثقة، وكانت عيناه البراقتان الأكثر شبهًا بالياقوت الأحمر، واللتان لا تغطيهما أية رموش ترسلان وهجًا سحريًّا غير منظور، يفقدك القدرة على مداومة التطلع إليهما مباشرة.

وانتظم عمل الجهاز، فجاءهما صوت قائد المنصة رائعًا عميقًا له رنين دافئ، وأسرع الخال «خميس» إلى جهاز اللغات حتى لا يفوته سماع التقرير:

قال القائد:

– يا «مانسانا» – لم نستطع الانتظار أكثر من ذلك، فتلك الكائنات المتوحشة آكلة (البوكسيلون ١٧) عادت لمهاجمتنا، وفى هذه المرة استطاعت بحيلة لا ندريها تجنب أجهزة المراقبة وكان لابد لنا من الانسحاب إلى الحجرات والدخول فى حالة النوم البيولوجى، بعد أن صار جو المنصة غير صالح لنا، وارتبكت أجهزة التحويل الغازى، ولقد حاولنا الاتصال بكم عند طريق «فادا» ولكن حجم الشحنة، بسبب الاضطراب الذى ساد المنصة، قد أضر بجهاز اتصاله، فلم نستطع إكمال الاتصال خوفًا من القضاء عليه، نتمنى أن تكون قد نجحت فى تنفيذ فكرتك، وأن تكون قد عثرت على من يستطيع أن يحمل رسالتنا بعدنا.



وظهرت صورة مخلوق غريب أثار دهشتهم بملامحه العجيبة والأليفة فى الوقت نفسه.

اعذرنى بسبب اضطرارى لإنهاء رسالتى بسرعة، هؤلاء المتوحشون على وشك الوصول إلى هنا، ونتمنى ألا يكونوا هنا عند وصولكم، وإلا ستكون كارثة كبرى، أرجو أن تبلغ ذلك الإنسان الذى اخترته لمهمتنا احترامنا الشديد له وتقديرنا لتضحيته، نحن نعرف ما سوف يجره عليه ارتباطه بنا من متاعب ومصاعب، لكننا نأمل أن يغفر لنا تدخلنا الشديد هكذا فى حياته، قل له ألا ييأس لأنه رآنا على هذه الصورة مطرودين منهزمين غرباء، لكننا على ثقة أنه سوف ينجح يومًا، وسنلتقى فى ظروف أكثر إشراقًا، لن تستطيعوا البقاء كثيرًا، وفى الحجرة م ١٩ ت ٤٧٣ ما يكفى من الأكسجين لرحلة طويلة، وأنا باسم سكان (الألفافيروس) جميعًا أحييه وأبلغه أنه إن نجح يومًا ما فى العودة إلينا، فنحن على ثقة بأن مشاكل التحويل الغازى سوف تحل، فلا شىء يستعصى على العقل البشرى، ويومها سيمكن تفجير الشمس الرابعة وإعادتها إلى الحياة لتضىء (الألفافيروس) مرة أخرى، وتعيده للحياة جديدًا، وأكثر روعة، ويومها سوف....

[وهنا سمعت أصوات ضربات وصيحات ذات رنين].... ها هم قادمون، وليس هناك من وقت إلا لأقول لكم وداعًا.

وأخذت الصورة تهتز على الشاشة، ثم ساد صمت عميق، وخيم الحزن

على الغرفة، ثم تنبه الخال إلى أن الجهاز ما زال يعمل فأغلقه وهو يقول:

– لابد وأن «مانسانا» عرف بما حدث عندما فحص «فادا» فلماذا لم يخبرنا؟

تمتم «هشام»:

– وماذا كانت الفائدة لو عرفنا، لقد فضل أن نصل إلى المنصة لنعرف ولنقرر ما يمكن عمله، لو علمنا بما حدث لها قبل ذلك لترددنا فى الوصول إليها.

همس الدكتور:

– وماذا تنوى أن نفعل الآن، هناك ما يكفى من الأكسجين لرحلة العودة، وأخشى أن يكون ذلك كافيًا لشخص واحد، ليس أمامنا وقت إذن.

ووافقه «هشام» على ذلك وقال:

– هذا صحيح، ولكن على أن أصلح وأرمم كل ما أستطيع إصلاحه لاستمرار المنصة فى العمل، ولابد من عزل الأجزاء المخربة، وإعادة تشغيل خلايا الطاقة الشمسية، إلى أن يأتى يوم نعرف فيه سر مادة البوكسلين ١٧ هذه، وإلى ذلك الحين يجب المحافظة على المحطة سليمة قدر الإمكان، على الأقل، حماية للنائمين من سكانها.

همس الدكتور فى حزن:

– أخشى أن يكون استعمالك لفظ النائمين هذا تعبيرًا مخففًا عن لفظ آخر لا يطاوعك قلبك على النطق به.

اعترض «هشام» قائلًا:

– لا يا خالى، هم نائمون فعلًا، صحيح أنه قد يمضى وقت طويل قبل أن نعود نحن أو غيرنا لإيقاظهم، ولكن يومها أنا متأكد أن الحياة ستعود إلى كوكبهم البارد.

ضحك الدكتور وقال:

– ما زلت قادرًا على إثارة خيالى العجوز أيها الشقى، وتذكرنى بحكاية الأميرة التى شكتها الإبرة فنامت حتى جاء حبيبها فأيقظها بقوة الحب.

هز «هشام» رأسه مؤمِّنًا على قوله قائلًا:

– نعم، نحن سنستطيع يومًا أن نعيد لهم ولكوكبهم الحياة بقوة الحب، وبمعرفة سر البوكسلين ١٧، وهذا هو الاختلاف بين حكايتنا والحدوتة.

وضحك الاثنان، وانهمكا فى العمل بنشاط وكأنهما يسابقان الزمن.



١٢

وبقدر ما استطاعا، أصلحا كثيرًا من الآلات والأجهزة الضرورية، وخاصة ما يتعلق بتزويد السفينة بالطاقة الشمسية، ورمما الأجزاء المحطمة من المنافذ الخارجية، وعزلا المنافذ التى تعذر إصلاحها، ثم قاما بنقل توابيت أصدقائهما الثلاثة إلى الحجرة التى يرقد بها قائد المنصة، ثم قاما بتسجيل كل ما يتعلق برحلتهما على أحد شرائط الفيديوزون، وأودعاه مخزن المعلومات، ثم زودا العقل الإلكترونى المهيمن على المنصة بكل ما تم إنجازه، وبما لم يتم، ثم نسخ «هشام» سجلًا كاملًا لما يوجد بالأرشيف الخاص بالمحطة من معلومات، نقلاه إلى مكتبة (الفقاعة)، ثم نقلا إليها مخزون الأكسجين، بالإضافة إلى نماذج من الأدوات والأجهزة الإلكترونية

والكهرومغناطيسية والفوتونية، وأخيرًا أصلح «هشام» ما عطب من بطاريات الشحن (بالفقاعة) وقال الخال:

– علينا أن نرحل الآن، فلم أعد أحتمل جو الحزن المخيم على المحطة، إن سفينتنا أكثر إشراقًا وألفة.

وفى الطريق همس «هشام» لخاله:

– ترى كم من الوقت سوف يمر قبل أن تستقبل هذه المحطة زوَّارًا آخرين، أقصد من الأصدقاء.

وعندما أدارْ أجهزة (الفقاعة) قال:

– إذا استطعنا أن نكون عند حسن ظنهم بنا فسوف نعود بسرعة، هذا مؤكد. وعندما بدأت آلات السفينة فى الدوران، قال له الخال وهو يجلس على أحد المقاعد يراقب انهماكه فى قيادته للسفينة:

– كم أتمنى أن أشارك يومًا ما فى مغامرة إعادتهم إلى الحياة، وإعادة الحياة لكوكبهم، هل تعتقد يا «هشام» أن الحياة ستطول بى لأشعل معك شمسًا فوق كوكبهم البارد؟!

دارت السفينة وهى ترتفع برفق عن أرض الميناء، ثم فتحت البوابة الضخمة أمامها، وفى اللحظة التالية كانت (الفقاعة) تغادر المحطة الأم، التى أخذت تتراجع إلى الخلف بسرعة رهيبة، وهى تغلق فمها المفتوح

وتضمه إلى صدرها وإلى ذراعيها الضخمتين، وكأنها تؤثر الصمت محتفظة بسرها الكبير.

وانطلقت الفقاعة إلى أعماق الفضاء الأسود المرصع بالآف النجوم، والشمس تغمر بضوئها الساطع جانبها الأيمن.

وكان «هشام» منهمكًا فى تعديل المسار، وضبط أجهزة السرعة والمقاومة، وتشغيل بطاريات الشحن وآلات الدفع الصاروخى، وبعد أن خلع بذلته ضبط جهاز التحويل الغازى، لمح خاله دمعة تسيل على خده، فعرف أنه يفكر فى أصدقائه الذين خلفهم هناك فى عمق الفضاء، فتظاهر بأنه لم ير دمعته الحزينة تلك، وقال فى مرح:

– آه.. على كل حال لقد قمنا بواجبنا كما ينبغى حيال كوكب (الألفافيروس) الذى استفاد بنا، طبعًا فعلنا كل ما نستطيع، وإلى أن نستطيع أن نفعل أكثر، علينا أن نقوم بواجبنا حيال شاطئ بلطيم الذى ينتظرنا.

وضحك «هشام» وقد فهم قصد خاله الذى استطرد:

– أعنى طبعًا، واجبنا حيال البشرية، وحيال سعادة وسلام العالم.

مسح «هشام» دمعته والتفت إلى الخال «خميس» مبتسمًا فى الوقت الذى

كان يرسل فيه رسالة لأصدقائه عبر جهاز الاتصال الفكرى، فحواها: لن يطول انتظاركم يا أصدقائى، وبالتأكيد سنلتقى قريبًا، بل وقريبًا جدًّا.

احتضن الخال «خميس» ابن أخته وربت على كتفه بإعجاب من يعرف أن أمامه إنسانًا فريدًا، يحمل أعظم أسرار الكون إلى أمه الأرض.

وهنا ابتسم «هشام» وقال لخاله المعجب:

– هل تعرف يا خال «خميس» فيم أفكر الآن؟

قال الخال ضاحكًا:

– انتظر حتى أحضر جهاز الاتصال الفكرى لأقرأ أفكارك.

لكن «هشام» قال:

– لا، تستطيع أن تخمن فالأمر أبسط من ذلك، ولا يحتاج إلا لبعض (الحداقة).

قال الخال «خميس»:

– خمنت؟ أنت تفكر فى أكلة أرز شهية.

قال «هشام»:

– من يد أمى وبطريقتها المبتكرة.

قال الخال:

- أرز فقط!!

فاستدرك «هشام» قائلًا كأنه ينفى عن نفسه تهمة خطيرة:

- لا، طبعًا، ومعها بورى برليسى مشوى مفتخر، أشويه بنفسى بطريقتى المبتكرة.

ورنت ضحكاتها فى فراغ (الفقاعة) فكان لها رنين دافئ، أشاع جوًّا إنسانيًّا مرحًا فى سفينتها المبتكرة!.

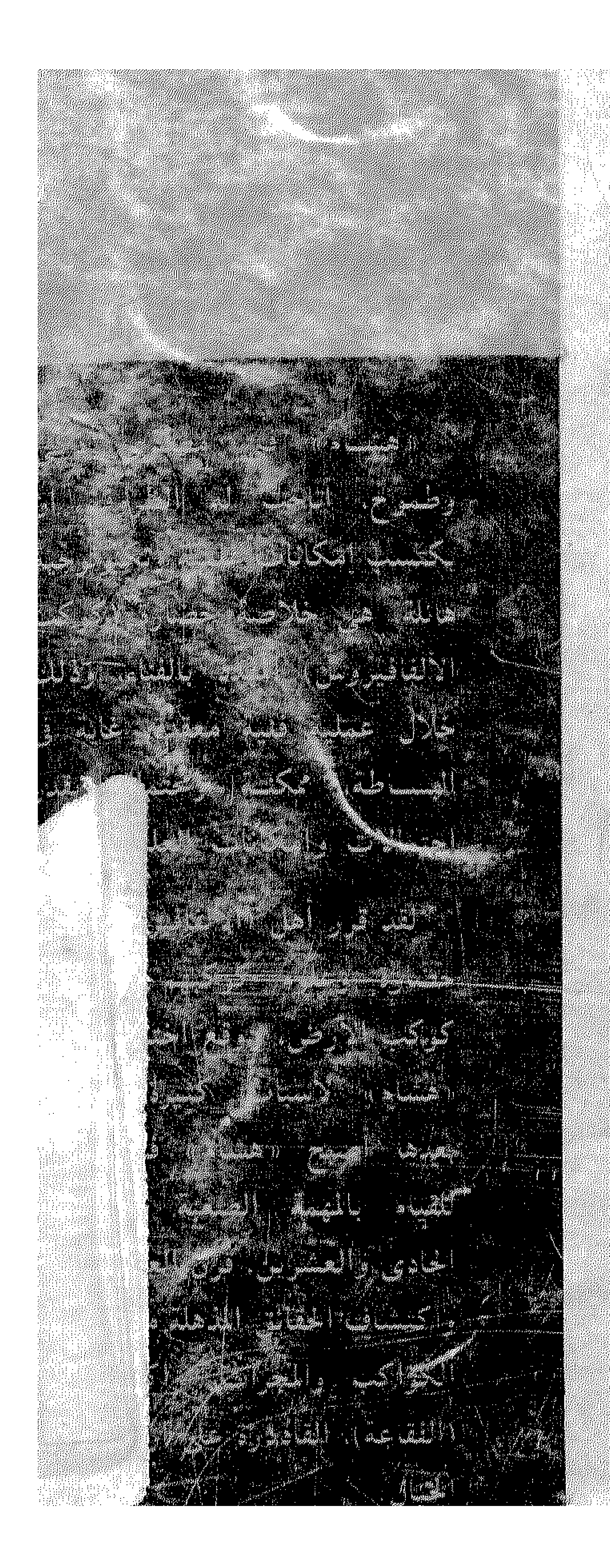


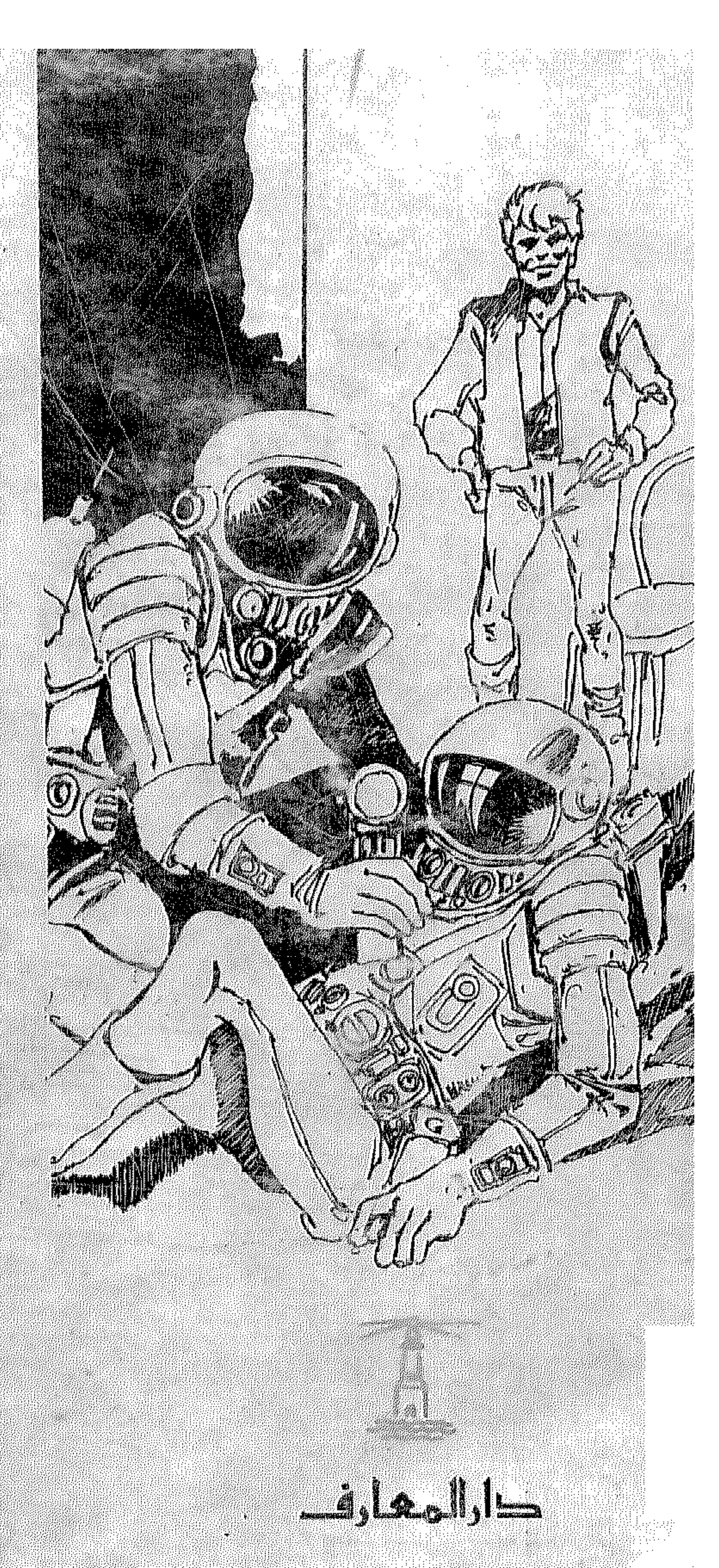
صدر من هذه المجموعة :

رقم الإيداع	١٩٩١ / ٨١٧٢	
الترقيم الدولى	977 - 02 - 3466 - 4	ISBN

١ / ٩٠ / ١٠٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)





دار المعارف